الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية

كلية: أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
قسم: العقيدة ومقارنة الأديان
تخصص: عقيدة

البعد العقدي في الثورة الجزائرية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في العقيدة

إعداد الطالب:
عناب قدور

تحت إشراف الدكتور:
مولود سعادة

تاريخ المناقشة: 2003/07/12

السنة الجامعية: 1423 ، 1424هـ / 2003 ، 2004 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ﴾

الإسراء 34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــــــداء

إلى المجاهدين ...

الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ...

الذين عاهدوا وما بدلوا تبديلا ...

- والشهداء ...

الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ...

نهدي هذا العمل المتواضع .

عنابة ...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد الغر الميامين. وبعد:

فإنّه لا يخفى على أحد أنّ الجزائر صاحبة تاريخ عريق، وأنّه توالى عليها غزو بعد آخر إلى أن كان آخر الطريق الوجود العثماني بها، والذي استمر حوالي ثلاثة قرون، ولكن ما أن ضعف أسطولها وسقط الرجل المريض، حتى كانت هدفا للاستعمار الفرنسي الذي مارس كل سياساته لإلغاء وطن اسمه: الجزائر و ما فيه من حضارة عريقة، وشعب عربيّ مسلم. وتعرّض هذا الاستعمار لحركات الجهاد التي ثارت ضده بدافع ديني أملته العقيدة الإسلامية التي توجب محاربة الكفار متى كان منهم الاعتداء ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ [البقرة 189] ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة 193]. فكانت معركة العاصمة، ثمّ ثورات شعبية متتالية، امتدت شرقا وغربا، شمالا وجنوبا. فلمّا تمّ وضع جهاد السيف، بدأ جهاد القلم، فكانت: الأحزاب والجمعيات والجرائد والعرائض... مواصلة للمسيرة حتى إذا سرى روح الجهاد بالسيف مرة ثانية كانت الثورة التحريرية إيذانا ببداية الجهاد الأصغر.

لم تكن الثورة التحريرية شجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، بل كانت شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء. فأصلها عريق يمتد إلى الخلافة الإسلامية وقدوم الفاتحين بحضارة الإسلام. وفرعها الظاهر يمتد ليشمل جهاد الأمير عبد القادر ومن تلاه من الثوار، فالجزائر تحت الاستعمار بدأت جهادها بالسيف، وأنهته بالسيف. فالأول كان لردّ العدوان من حيث أتى. فلمّا عجز كان السيف الثاني له ظهيرا، وأكمل المهمة بطرد العدوان من على الأرض. وطالب أصحابه بإخراجه من القلوب والأرواح أثناء الجهاد الأكبر، وتلك وظيفة الدولة الجزائرية المستقلة كما يحددها بيان أول نوفمبر.

هل كان للعقيدة الإسلامية دور في الثورة التحريرية ؟ وما تأثير الإيمان بالله واليوم الآخر والقضاء والقدر في أحداث الثورة وحياة المجاهدين ؟ وأين يظهر هذا التأثير ؟ ذلك هو الإشكال ستدور محاور المذكّرة حوله، محاولة إدراك كنهه، ومن ثم إيفاء حقه في الإجابة.

وتطلب ذلك تبيان دور مبادئ العقيدة الإسلامية في تحرير الإنسان تعميما، ثم مكانة هذه العقيدة في ضمير الشعب الجزائري المسلم تخصيصا، وظهور تلك الآثار في الثورة التحريرية أخيرا. وفي كل ذلك كان المنهج التاريخي في السرد رائدا، والمنهج التحليلي للحدث التاريخي قائدا. فقراءة الحدث التاريخي، ثم تشريح أبعاده – مع التركيز على البعد العقدي – عاملا حاسما في إدراك البعد العقدي وتجليته. دون إهمال الأبعاد الأخرى، إذ كلها تعمل في تناغم لإخراج الحدث وإدراكه على حقيقته.

تداول الموضوع كان – في الغالب – يتّجه إلى إبراز الإسلام كأحد العوامل التي غذّت مسيرة الثورة الجزائرية. فهو يمثّل وسيلة لشحذ الهمم عند التقاعس، ودافعا للبذل والتضحية، لما يحمله من عواطف تلهب حماس الجماهير، وتدفعهم إلى العمل وليس هو العامل الأساسي في تفجير الثورة، بل الظروف الاجتماعية والاقتصادية. وليس هو الذي صاغ أخلاق الجزائريين عموما، والمجاهدين خصوصا، بل أخلاقهم ترجع إلى " الروح الإنسانية التقليدية التي تأثروا بها عن طريق الرواية " [1].

وفي كل هذه الدعاوى تقليل و تقزيم من شأن دور الإسلام أثناء الثورة التحريرية وقبلها، إذ العقيدة الإسلامية باعثة على التحرر، ودافعة إليه. وكفاها أنها حافظت على الشعب الجزائري من الذوبان، وكانت الدافع الأكبر للجهاد، والعامل الأقوى في استمرار الثورة ونجاحها، ثم هي قبل هذا وبعده لحمة الشعب الجزائري من الفتح الإسلامي إلى يوم الناس هذا.

لقد أفل الجهاد الأصغر منذ نصف قرن تقريبا، وبدأت صورته تسود في نظر جيل الاستقلال لما حدث بعده. إذ بدّلت عناصر محتوى الأمانة التي أوكلت إليهم، وانسلخت عناصر أخرى تماما مما كانت عليه، ثم تنكّرت. وقرأ آخرون الثورة كما يريدونها هم، فنادوا بنقيض مبادئها، وزعموا أنهم أوفياء لخط المجاهدين، ثم جفت الأقلام عن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بموضوعية، وإيفائها حقها في الدراسة والتحليل، بعيدا عن تحامل نوعين من الكتّاب: فرنسيون مستعمرون (جان سارفيية)، وخاصة إذا تعلق الأمر بثابت من الثوابت الوطنية. إذ كليهما متفق على أنه لا ثوابت لهذه الأمة، بل هي قبائل همجية غير متحضرة.

وتأتي محاولتنا هذه للمساهمة – ولو بشيء يسير – في تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة

(1) مصطفى الأشرف.الجزائر الأمة والمجتمع.ت:حنفي بن عيسى.المؤسسة الوطنية للكتاب.ط : ٢.الجزائر 1983. ص153.

وتوضيح بعض الرؤى، والفصل بين المبادئ التي قام عليها مشروع التحرير والأشخاص. فلئن كانت الثورة الجزائرية صورة مثلى للإقتداء، لما تميّزت به من المحافظة على عناصر الهوية. فإن شذوذ بعض أبنائها بعد ذلك لا يطعن في المشروع كله، بل يوجب الوفاء له، والدفاع عنه، وتخليصه من الغثاء، ثم تدوين حقائقه، وإبرازها لتكون منارة السالكين لنهج المجاهدين. وذلك جزء من الوفاء بالعهد ﴿ إن العهد كان مسؤولا ﴾ [الإسراء 34].

احتوت الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة :

الفصل التمهيدي : فيه تحديد لمصطلحات البحث، وبالضبط المقصود بالبعد العقدي في الثورة الجزائرية، مع التركيز أساسا على معنى كل من الثورة والعقيدة. وكان لزاما هنا دفع بعض الشبه التي حاول البعض إلصاقها بالثورة الجزائرية تشويها لصورتها أو تحريفا لمشروعها أو تغافلا، فكان الوقوف على:

- نفي استعمال مصطلحات الحرب المقدسة أو الحرب الدينية أو التعصب الديني بالمعاني التي يقصدها أصحابها. فهذه مصطلحات غريبة تماما عن ثقافة المجتمع الجزائري، والتأكيد على أن مصطلح الجهاد – وليس الحرب – هو الذي استعمله مفجّرو الثورة شعارا ومضمونا للعمل الذي قاموا به.
- نفي الرأي القائل بأن الثورة الجزائرية تفتقد إلى ايديولوجيا محددة. وتبيان أنه لا ثورة دون اديولوجيا محددة لمعالمها. وأن ايديولوجية الثورة الجزائرية هي: "الإسلام وتراثه العريق" [1] .

وبناءا على مفهومي الثورة والعقيدة يفهم المقصود بالبعد العقدي وهو يشير إلى جملة الأفكار والبواعث التي تجلت في أحوال وأعمال المجاهدين الجزائريين إبان الثورة التحريرية، والمستمدة من مبادئ العقيدة الإسلامية.

الفصل الأول : تناول العقيدة الإسلامية من حيث كونها ثورة تحرير. فمبادؤها الأساسية كالتوحيد والإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر هي مبادئ التحرر. إذ تسقط عن الإنسان كل القيود التي تكبله عن أداء وظيفته في الأرض. فالتوحيد:

(1) عبد الكريم بوصفصاف:البعد الاسلامي في ثورة التحرير الجزائرية.مجلة البصائر الجديدة.العددالأول.نوفمبر 1985.ص13

- يحرر عقل الإنسان من الوهم والخرافة والأسطورة عندما يحدد طاقة العقل الإنساني ومجاله، فلا يجعله يتيه فيما لا يدرك. ولا يغلق عليه أبواب التفكير. ثم يدعوه إلى رفض أي قضية لا تقوم على التعقل والبرهان، فيكون تبعا لهذا تحرير السلوك من التقليد.
- يحرّر علاقة الإنسان بخالقه من الوسائط، لينفي عنه العجز، ويجعل الناس سواسية أمام الخالق. وتفاضلهم يكون بالعمل في سبيله.
- يحرّر النفس من الشهوات والأهواء، ويجعل القيادة للشرع والعقل، لا للهوى والشهوة حتى يتحقق الإنسان بخصائص الكرامة الإنسانية.
- ثم هو السبيل للوحدة الاجتماعية ومنها للوحدة الإسلامية ومنها للخلافة. والإيمان باليوم الآخر تحرير للإنسان من عقدة الخوف من الموت، والحارس الأمين لالتزام الشرع. وأما الإيمان بالقضاء والقدر فهو تحرير للإنسان من عقدة الخوف من انقطاع الرزق، وباعث على التضحية والايجابية الدافقة.

الفصل الثاني: بيان لمكانة العقيدة الإسلامية لدى الشعب الجزائري منذ أن ارتضاها دينا له. وكيف أنّها تمثل حياته كلها، فهي رائدة في التشييد الحضاري قبل الاحتلال، وهي الحصن الذي يلجأ إليه إذا استحكم الاستعمار قبضته على المجتمع تطبيقا لسياستي الذوبان أو الإفناء. فهي عند عموم الجزائريين في المكانة المرموقة، ولكنها في برامج الأحزاب تتفاوت في سلم الأولويات. فإذا كانت عند جمعية العلماء وحزب الشعب في الذروة، فهي عند دعاة الاندماج والمساواة جذوة في نفوسهم تكاد تنطفيء ظاهريا، ولكنها في لا شعورهم تشتعل وتحرك ضمائرهم، وكان لها الفضل في إعلانهم التوبة والتحاقهم بالثورة. ثم هي أخيرا الحبل المتين الذي ربط حلقات الجهاد في الجزائر من الفتح الإسلامي إلى الاستقلال فلا انفصال ثمّ. فالثورة كانت قبل الثورة: ثورة الأفكار والتكوين، تلتها ثورة القتال والاستشهاد.

الفصل الثالث: إبراز للبعد العقدي في الثورة الجزائرية من خلال قراءة أحداثها، فالبعد العقدي يظهر في مواطن كثيرة، لعل أهمها: كونه أحد الدوافع الأساسية – إن لم يكن الدافع الأساس – التي أملت اندلاع الثورة، وبقاء جذوتها في نفوس المجاهدين حتى تحقيق النصر. كما يظهر في

لغة المجاهدين واصطلاحاتهم المتداولة، وفي سيرة حياتهم الجهادية. وكل هذا يحدد الصبغة العامة للثورة الجزائرية في كونها ثورة قامت باسم الجهاد، وراعت شروطه وآدابه كما حددها الإسلام. ولكن ليس معنى ذلك أنها خالية من الأخطاء، وأنها معصوم مجاهدوها من المخالفات. بل وقعت. وتلك طبيعة البشر، ومع ذلك فمنطق تضخيم الأخطاء وتتبع الهفوات، مع نكران صبغة الفضائل الغالبة مرفوض.

ثم كانت الخاتمة.

لا يخلو عمل من عقبات تحول دون اكتماله، وفي ذلك فوائد جمّة، إذ هو مظهر من مظاهر العجز الإنساني، وتفرّد الواحد بالكمال. وهو إبقاء لباب المحاولة مفتوحا، ممّا يشجّع على مواصلة البحث. ولعل العقبات التي صادفتنا أثناء البحث لم تخرج عن المألوف، وكانت في مجملها:

- عدم التناسب بين البحث المطلوب، والوقت المحدد له. إذ كلما اتسعت إشكالات البحث، وتطلبت توسيعا أكثر، كلما قصر عمر الوقت، ونادى بالإسراع. والمسرع يغفل عادة عن صغار الأفكار، ولا يعطي لكبارها حقها.
- غياب الدراسات الأكاديمية – فيما نعلم – للموضوع من الناحية التي درسناها. وتركيز كل الدراسات السابقة على الناحية التاريخية. ويستثنى من ذلك بعض المقالات المعدودة المنشورة هنا وهناك، والتي تشير إجمالا للموضوع. مع عدم خلوها من نقيصتين تذهبان روح الموضوعية في البحث: التمجيد المبالغ فيه للثورة وأحداثها. وبين نظرة أخرى متحاملة على كل ما هو إسلامي في الثورة الجزائرية.

ومع هذه العقبات كان هذا الإنتاج، ثمرة جهد المقل، لولا تدارك المشرف ومساعدته المتواصلة، فله يوجّه الشكر مقرونا بدعاء الغفران له ولكل أساتذتنا. ثم شكرا آخر لكل من مدّ يد المساعدة من قريب أو بعيد من يوم الانطلاق إلى آخر الرحلة. وشكرا أعظم لصاحب الأفضال والأنعام، فإننا لا نحصي عليه ثناء هو كما أثنى على نفسه. فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه "ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير" وصلّى الله على سيدنا محمد.

الفصل التمهيدي:

ضبط مصطلحات البحث

تمهيد.

المبحث الأول: ضبط مفهوم البعد.

المبحث الثاني: ضبط مفهوم العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث: ضبط مفهوم الثورة الجزائرية.

*__المطلب الأول:__ مفهوم الثورة.

*__المطلب الثاني:__ شبهات حول الثورة الجزائرية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

الثورة الجزائرية ظاهرة اجتماعية. فهي كغيرها من الظواهر الاجتماعية، كانت نتيجة لمجموعة أسباب سبقتها، ساهمت في وجودها واستمرارها، حتى كان تحقيق الهدف الذي قامت من أجله. ولم تكن الثورة إلا وليدة فكرة تخمرت في وعي الشعب سنينا، ثم تحولت إلى إيمان بضرورة تجسيدها في أرض الواقع. فكان انطلاقها إيذانا باكتمال الإيمان بالفكرة وصوابها، وقدرتها على المواجهة. كما أن الثورة التحريرية لم تكن منغلقة على ذاتها، محصورة التأثير، بل امتد صداها عمقا ليشمل الشعب الجزائري كله. وتشظى في مختلف النواحي ليحوز أقطار العالم، ويشدّ انتباهه، فكان منه المساندة والدعم. وعلى أساس ذلك كان لها من الأبعاد:

- البعد الإسلامي في الثورة التحريرية [1].
- البعد الريفي في الثورة الجزائرية [2].
- البعد القومي للثورة الجزائرية [3].
- البعد الإفريقي لثورة التحرير الكبرى [4].
- الثورة الجزائرية والبعد المغاربي [5].
- " البعد الوطني ومقوماته الذاتية والحضارية الأساسية والمتطورة، وهو بعد يلتصق بوجدان الشعب، وتمتد جذوره في ذاكرته الجماعية، وتظهر فعاليته كلما دعي داعي التضحية والفداء...
- البعد الإقليمي والحضاري، وهو ما يعطي لتجربة الثورة الجزائرية مكانة خاصة في الإطار العربي الإسلامي الإفريقي – وإلى حد ما – المتوسطي...
- البعد الإنساني الذي يجعل من الثورة الجزائرية تجربة تجاوزت أصداؤها وآثارها منطقة جغرافية محددة ..." [6].

---

(1) البصائر الجديدة. العدد الأول. نوفمبر 1985.
(2) محمد ابراهيم الميلي. مجلة الأصالة. العدد 22. ص 50.
(3) عبد الحكيم بن الشيخ الحسين. مجلة أول نوفمبر. العدد 142. ص 38.
(4) عبد الحكيم بن الشيخ الحسين. مجلة أول نوفمبر. العدد 143. ص 09.
(5) محمد لحسن زغيدي. مجلة الثقافة . العدد 104. ص 17.
(6) محمد العربي ولد خليفة. الثورة الجزائرية معطيات وتحديات. المؤسسة الوطنية للكتاب. ط1.الجزائر 1991. ص115

هذه بعض الأبعاد التي أشير إليها، وما لم يدرس من الأبعاد شيء كثير، فالبعد العقدي يكاد يكون غائبا تماما، رغم ما كان له من دور وتأثير في مجريات الثورة. فما المقصود بالبعد في كل تلك الدراسات ؟.

I/- ضبط مفهوم البعد :

جاء في المعجم العربي الأساسي:

- بعد: جمع: أبعاد ويعني:

أ/- سيكولوجيا: أبعاد الشعور، سماته: هي مظاهر عملياته من شدة أو ضعف، وضوح أو غموض أو طول أو قصر.

ب/- امتداد موهوم غير محسوس، كالبعد الثقافي، والبعد الحضاري. " لابد من تغطية كل أبعاد عملية التدريس الأكاديمية والتربوية والمهنية " (1).

ويلاحظ أن المعنى المقصود في كلا المفهومين السابقين هو:

أ- أن البعد يمثل أحد جوانب ظاهرة ما. ليس لها من قيام إلا به، مع تكامل وتعاضد بينه وبين أبعاد أخرى. فهناك تقسيم نظري لظاهرة ما إلى مجموع الأبعاد المشكلة لها. والتركيز – في أثناء الدراسة – على بعد واحد بهدف إبراز التأثير الذي يحدثه هذا البعد في الظاهرة ككل.

ب- أن البعد متعلق بالجوانب الظاهرة، أي بالوقائع الميدانية المشاهدة فهو يتجلى من خلال المظاهر، ولكنه غير محسوس، وإنما يستنتج من خلال دراسة تلك الوقائع.

والناظر إلى أبعاد الثورة الجزائرية يلاحظ أن تقسيمات أبعادها يمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة وذلك بحسب الأساس الذي يعتمد في التقسيم. فإذا أخذنا مثلا:

الأساس الجغرافي، فإنه يمكن الحديث عن أبعاد للثورة ممثلة في: البعد المغاربي، والبعد الإفريقي، والبعد العربي، والبعد العالمي...الخ، وتكون كل هذه الأبعاد خارجية أي أنها متعلقة بالثورة تأثرا وتأثيرا ولكن من خارج الثورة (الظاهرة). وإذا أخذنا الأساس الذاتي، أي الأبعاد التي شكلت الثورة في حد ذاتها، نجد: البعد العقدي، البعد الإسلامي، البعد الريفي، البعد الوطني...الخ.

(1)أحمد العايد، أحمد مختار عمروآخرون.المعجم العربي الأساسي.المنظمة العربية للتربية والثقافة.ط؟ بيروت1989 ص165.

ومختلف الدراسات التي تناولت أبعاد الثورة الجزائرية لم تخرج عن هاذين الإطارين، وقصدت البعد بهذا المفهوم. ولكنها ركزت بشكل كبير على الأبعاد الخارجية، وكادت أن تهمل الأبعاد الذاتية مع أن الثورة الجزائرية، يقر لها معظم الدارسين بانفرادها وتميزها، واعتمادها الكلي على إمكاناتها الذاتية.

2/- العقيدة الإسلامية :

البعد العقدي: أي المستمد من العقيدة الإسلامية التي رسخت في نفوس أفراد الشعب الجزائري منذ أن تقبلها دينا مع مجيء الإسلام إلى بلاد المغرب فاتحا، وعاشت معه إلى الأبد. فالعقدي: إذن صفة للبعد، ومعناه: تأثير العقيدة الإسلامية في الثورة الجزائرية انطلاقا واستمرارا.

ولما كان البعد لا يظهر إلا في وقائع – فهو غير محسوس – كان لابد من ضبط كيفية ظهوره، أي المواطن الدالة على وجوده. وهذا لا يتسنى إلا بعد ضبط مفهوم العقيدة الإسلامية، وإخراجها من شبهة التجريد، أي كونها نظريات مجردة لا تمت إلى الواقع بصلة. وتبيان أنها ألصق بالجانب العملي الذي هو تجلي للجانب النظري.

العقيدة الإسلامية أساس تبنى عليه الحياة في مختلف مظاهرها، " إن حدودها تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة... فمن العقيدة ينبثق منهج الحياة الذي يشمل الأخلاق والقيم، كما يشتمل الأوضاع والشرائع سواء بسواء "[1]، إنها بالنسبة للإنسان كالروح للجسد، لا حراك له إلا بها، ولا يمكن تصور إنسانا مؤديا لوظيفته المحددة دون عقيدة باعثة على الحراك، ومن أجل هذا أصبح مفهوم العقيدة مرادف لمعنى الإيمان.

والإيمان: " إقرار باللسان وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان "[2]، فالإقرار باللسان هو التعبير اللفظي عما وقر في القلب، وتم تصديقه(تصديق الجنان). والعمل بالأركان: هو تصديق لكليهما. فالعمل مقياس الصدق القلبي، والإقرار اللساني. وعلى هذا الأساس يمكن الحديث عن العقيدة (الإيمان) من خلال مستويين لا يمكن الفصل بينهما:

(1) سيد قطب . في ظلال القرآن. ج04. دار الشروق. ط11. القاهرة. دون تاريخ. ص2114.
(2) محمود هشام سلطان. العقيدة والفكر الاسلامي. مكتبة رحاب. ط2. الجزائر1982. ص16.

- **المستوى الأول:** وهو المستوى النظري، ويقصد به جملة القناعات الراسخة في الذهن، لمستقرة في القلب، والتي اطمأنت إليها النفس. وقد نشأت هذه القناعات عند تظافر الأدلة المختلفة بحيث رجح عند المعتقد صوابها. ولذلك قيل أيضا في تعريف الإيمان (العقيدة): التصديق الجازم المطابق الناشيء عن دليل " [1].
- **المستوى الثاني:** وهو المستوى العملي، هو تجلي تلك القناعات في ممارسة ميدانية، تكون هذه الممارسة هي معيار صدق الإيمان أو كذبه. ذلك أن المستوى النظري أشبه بالنية في خفائه، لا يطّلع عليه، ولا يعلم صدقه إلا الخالق سبحانه، والناس يقيسون صدق إيمان أي شخص من خلال المستوى العملي. فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل .

والحق أن الانفصال بين المستويين النظري والعملي لم يعرفه الإسلام، إلا عندما دعت الحاجة إلى تصنيف العلوم لتسهيل الدراسة والفهم، فصنّف علم العقيدة مقابل علم الشريعة. واصطلح علماء الإسلام على التكاليف التي تطلب علما بالعقائد، والتي تطلب عملا بالشريعة. مع أنّ " الإسلام يحتم تعانق الشريعة والعقيدة بحيث لا تنفرد إحداهما عن الأخرى... وعليه فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة، أو آمن بالشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلما عند الله ولا سالكا في حكم الإسلام سبيل النجاة " [2].

ولكن عمليا لم يشهد هذا الانفصال إلا لما ضعف الإسلام، يقول **عبد الجميد النجار** في حديثه عن المشاكل العقدية في الواقع الإسلامي الحالي. " إنّ المشكلة الأولى هي الانفصال أو شبه الانفصال الذي وقع بين المرجعية العقدية، وبين المظاهر التطبيقية في مختلف وجوه الحياة. فالدين الإسلامي هو عقيدة تتفرّع عنها شريعة تشمل كل أوجه التصرّف الإنساني، بحيث يكون كلّ حكم من أحكام السلوك متفرّعا من أصل من أصول العقيدة التي تستجمعها حقائق أساسية ثلاث: الألوهية، النبوة، البعث، بحيث يكون كل منشط من مناشط المسلم،

(1) محمود الخالدي. العقيدة وعلم الكلام. دار الشهاب. ط؟. الجزائر. دون تاريخ. ص18.
(2) محمود شلتوت. الإسلام عقيدة وشريعة. دار الشروق. ط13. بيروت 1985. ص11

وكل اجتهاد من اجتهاداته في شؤون الحياة مستمدّا من أصول العقيدة جاريا بحسب مقتضياتها" [1].

وعلى هذا، فإنّ مختلف أعمال المجاهدين، ومختلف أحداث الثورة التحريرية، يمكن إرجاعها إلى أصول محددة تفرّعت عنها، لا يمكن أن تكون هذه الأصول إلا مبادىء نشأ عليها الشعب الجزائري أحقابا طويلة. وكانت الثورة وأحداثها تجليات لها. فهل يمكن أن تكون تلك الأصول، هي أصول العقيدة الإسلامية ؟ أم أنّه يمكن أن تكون غير ذلك ؟.

المبحث الثالث: الثورة الجزائرية:

المطلب الأول: مفهوم الثورة:

الثورة في مفهومها اللغوي الوارد في القواميس العربية تدل على **الهيجان والخروج في عنف**، وفي القواميس الغربية تشير إلى معان مثل **الانقلاب** أو **التطور** أو **الاضطراب المتغير**[2]. فالمعجم اللغوي **الرائد** يورد بأن: " الثورة: ثار، القيام على الحاكم لإطاحته. والثائر: المتمرد على السلطة الحاكمة العامل على إطاحته بوسائل شتى "[3].

وهو معنى اصطلاحي **سياسي** لم يعرف إلا حديثا، وله معان متقاربة من مثل ما أوردته:

- الموسوعة العربية:" تغيير جوهري في الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة معينة، لدولة معينة، لا تتبع في أحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لتلك الدولة "[4].
- معجم المصطلحات القانونية: " تغيير تام للنظام الدستوري، يتم عموما بشكل مفاجئ وعنيف، عن طريق القطيعة مع النظام القانوني السابق، وتتخذ أحيانا معنى أي تغيير هام في البنيات الاجتماعية، والنظام الاقتصادي "[5].
- وهو المعنى نفسه تقريبا نجده في: القاموس الموسوعة:

(1) عبد الحميد النجار . مباحث في منهجية الفكر الإسلامي. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1992. ص150.
(2) عبد المالك مرتاض .المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية .ط؟. المطبوعات الجامعية الجزائر 1983. ص30.
(3)جبران مسعود . المعجم اللغوي الرائد . ط6.دار العلم للملايين . بيروت1990 . ص479 .
(4)عبد المالك مرتاض المرجع السابق . ص30 .
(5)جيرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية ت:منصور القاضي.ط1.المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت1998 ص604.

La revolution :" -changement brusque et violent dans la structure politique et sociale d'un état ,souvent d'origine populaire.

-changement brusque, d'ordre économique, morale, culturel, qui se produit dans une société [1].

ويذهب **محمد عمارة** إلى اعتبارها: "علم تغيير المجتمع تغييرا جذريا شاملا، و الانتقال به من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى أكثر تقدما، مما يتيح للقوى الاجتماعية المتقدمة في هذا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور. فتصنع الحياة الأكثر ملاءمة وتمكينا لسعادة ورفاهية الإنسان "[2].

ويلاحظ من خلال التعاريف أن الثورة الجزائرية لها من الميزات من يجعلها ثورة حقيقية فهي :

أولا: تغيير جوهري. والذي يعني الانتقال من النقيض إلى نقيضه مباشرة. فإذا كانت الدولة فرنسية، فإن نقيضها: الدولة الجزائرية، وإذا كان دينها المسيحية. فإن الدين الجديد هو الإسلام. و إذا كانت لغتها وثقافتها فرنسية، فإن نقيضها: اللغة العربية والثقافة الإسلامية. وهذه الثلاث هي المقومات الكبرى التي يتفرع عنها بعد ذلك التغيير الشامل في النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وكل مناحي الحياة. هذا التغيير الجوهري فيه **ميلاد لمجتمع جديد**، كان في رحم الأحداث يتشكل، يختلف عن المجتمع القائم في كل شيء، في مصادره وتشريعاته، في نظمه وقيمه، في انتماءه ووجهته... وهو باختصار مجتمع (الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا) في مقابل المجتمع الذي كان سائدا من قبل.

ثانيا: ثورة قام بها الشعب الجزائري كله، أي أنها تغيير شعبي، من أدنى إلى أعلى، فهي بذلك تعبر عن الشعب في آلامه وآماله، والذي يريد معرفتها، ما عليه إلا أن يتجه إلى دراسة دور الشعب الجزائري كله، لا إلى نخبة معينة ثم يعمم. فالشعب ثار بعد أن صبر على معاناة متعددة الجوانب، مست كل شيء في حياته. يصدق عليها وصف البشير الإبراهيمي

(1) dictionnaire encyclopédique – larousse – Paris 1998-E : ?p : 1367

(2) محمد عمارة . ثوار مسلمون . ط3. دار الشروق . بيروت 1988. ص13 .

عندما خاطب المجاهدين في ندائه قائلا: "إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا، وكل إنسان يعيش في هذا الوجود البشري إنما يعيش لدين ويحيا لدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها"[1].

وكذلك كانت حياة الجزائريين قبل الثورة لا دنيا ولا دين، فالأموال قد سلبت، والأعراض قد هتكت، وليس للجزائري إلا العبودية بأبشع صورها أو الموت المهين. وليس معنى هذا التقليل من شأن قادة الثورة، وصانعيها الأوائل. وإنما التأكيد على أن الثورة الجزائرية لم تكن ثورة زعيم واحد. " أو تهدف إلى تحقيق مطامح فئة اجتماعية أو سياسية معينة في نطاق معين... بل ثورة قامت على أساس قيادة مشتركة وعمل جماعي "[2].

ثالثا: ثورة مفاجئة، ساعد على ذلك ما تحلى به الجزائريون من خلقي الكتمان والسرية. وغيّرت من أسلوب المقاومة، حيث خرجت من أسلوب المطالب والعرائض والتنديد، بعد أن ما عادت تطيق كلاما، إلى العمل العنيف المنضبط. أي القوة المصاحبة للحق. فلم يكن عملا ارتجاليا لعصابة من اللصوص- كما وصفتهم السلطات الفرنسية – همهم التقتيل وإراقة الدماء. بل كان جهادا مشروعا، استمد كل تعاليمه من الشريعة الإسلامية، واستهدف الدفاع عن الأرض والعرض. ولم يكن حربا مقدسة أساسها التعصب الديني، ونفي الآخر، وعدم القابلية للتعايش معه. كما حاول البعض إيهام الرأي العالمي بذلك، شأن لاكوست عندما صرح بأنها "حركة دينية متطرفة في خدمة الجامعة الإسلامية "[3]. وجان سارفييه القائل بأنها " تعصب ديني زرعه العلماء المسلمون في الأهالي"[4]. بل الأمر في الحقيقة، مخالف لذلك تماما، فالثورة ما كانت تهدف إلى العودة إلى قرون الظلام والتخلف، ووأد الحضارة الفرنسية المنقولة إلى الجزائر، وأي حضارة ؟ وإنما غرضهم من ذلك تحريف الكلم عن مواضعه، والتلاعب بالمصطلحات أثناء ترجمتها. إذ ترجموا لفظ الجهاد إلى الحرب المقدسة، بغرض ضرب منظومة المصطلحات الإسلامية، من خلال استبدال خطير وجوهري في المعاني التي تحملها "[5].

---

(1) أحمد طالب الإبراهيمي . آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج5. ط1. دار الغرب الإسلامي . بيروت 1997. ص34 .
(2) عمار بوحوش. تاريخ الجزائر السياسي من البداية إلى غاية 1962. ط1. دار الغرب الإسلامي . بيروت 1997ص560 .
(3) شاوش حباسي . من مظاهر الروح الصليبية في الجزائر . ط؟. دار هومة . الجزائر 1998 . ص44 .
(4) أبو عمران الشيخ . -جان سارفييه- ثورة أول نوفمبر 1954. مجلة الأصالة عدد 22. ص81 .
(5) عبد الله حمادي .الحركة الطلابية الجزائرية .ط؟ منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر 1995 ص99 .

صحيح أن القتال يوصف بأنه جهاد إسلامي والقتيل يسمى شهيدا متى كان ذلك العمل في سبيل الله أو من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ﴿ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ﴾[1]. ولكن وردت أحاديث أخرى تفيد بأنه إذا انتصرت لنفسك أو مالك أو عرضك من معتد وقتلت دون ذلك فأنت شهيد ﴿ من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ﴾[2]. ولفظ الجهاد لفظ لم يعرف في الجاهلية بل هو لفظ إسلامي متصل بأوامر الله تعالى ونواهيه. وهو يعني بصورة خاصة " الإخلاص الكامل في أداء الواجب الديني سواء كان ذلك في النية أو العمل"[3]. و الثورة الجزائرية لا يمكن أن تكون إلا جهادا، إذ وصفها بالحرب غير ممكن لأن: " الحرب يمكن أن تكون محقة، كما يمكن أن تكون مبطلة، ويمكن أن تكون عادلة أو ظالمة، ومشروعة أو غير مشروعة. إن إضافة هذه الصفات إلى الحرب كلها أو بعضها جائزة. أما إضافتها للجهاد فهي غير جائزة "[4]. ثم إن المجاهدين أطلقوا على الثورة من البداية لفظ الجهاد تمييزا لها عن الحرب.

ولم تسلم الثورة الجزائرية من شبهات أخرى أثيرت حولها أهمها تلك التي وصفتها بالخلو من الاديولوجيا، وتلك التي فسرتها بصراع الطبقات.

المطلب الثاني: شبهات حول الثورة الجزائرية:

فبالنسبة للفراغ الاديولوجي: فإن الثورة الجزائرية التي قامت على أكتاف الشعب الجزائري كله، لا يمكن أن تكون خالية من توجّه اديولوجي يحدد وجهتها وانتماءها. وما ذهب إليه مصطفى الأشرف من أن الثورة تفتقر إلى محتوى اديولوجي، وأن الصفات الفطرية في نفسية الشعب الجزائري كالثقة والانضباط هي التي نابت مناب الاديولوجيا[5]. وما قاله بسام العسلي ومحمد طلاس من أن الثورة كان ينقصها الخط العقائدي. وأن جزائر مابعد الاستقلال عليها أن تدع الكفاح المسلح للمعركة العقائدية [6]. لا يستقيم من عدّة أوجه، منها:

---

(1) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح.
(2) رواه الترمذي.
(3) ظافر القاسمي .الجهاد والحقوق الدولية العامة في الاسلام .ط1 .دار العلم للملايين. بيروت 1982. ص12 .
(4) المرجع نفسه .ص91 .
(5) مصطفى الأشرف: مرجع سابق. ص31.
(6) بسام العسلي ومحمد طلاس، الثورة الجزائرية. ط1. دار الشورى. بيروت1986. ص574.

- مهما كان المعنى الذي قصداه بالاديولوجيا، فإن الكل يسلّم بأن هناك اديولوجيات وتوجّهات مختلفة كانت قبل الثورة. ثم تنازلت كلّها لصالح الاتجاه الثوري، يحدد هذه الاديولوجيات العربي الزبيري في:

أ/ - أديولوجية نجم شمال افريقيا... ترى هذه الاديولوجية أنه لابد من استرجاع الاستقلال، وبناء مجتمع جديد في إطار جمهورية جزائرية، إسلامية العقيدة، عربية اللسان...

ب/ - اديولوجية العلماء المسلمين الجزائريين: وهي من ناحية الخطوط العريضة لا تختلف عن اديولوجية نجم شمال افريقيا.

ج/ - اديولوجية الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وكانت اديولوجية مشوشة.

د/ - اديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري التي هي اديولوجية الحزب الشيوعي الفرنسي[1].

ويحدد عبد الله الركيبي مختلف الاتجاهات قبل الثورة في: الفكر الرجعي المحافظ، والاتجاه الإصلاحي والاتجاه الليبرالي والاتجاه الاشتراكي[2]. وهذه الاديولوجيات لا يمكن أن تعطي عند اجتماعها - كما حدث أثناء الثورة فراغا اديولوجيا - بل الواقع أنّها تنازلت كلها لصالح أديولوجية الثوابت الوطنية الثلاث الكبرى (الإسلام: الدين- العربية: اللسان- الجزائر: الوطن).

- بعد دراسة موسّعة لمعاني ومفاهيم الاديولوجيا، توصّل **أحسن بومالي** إلى أن اديولوجية الثورة تظهر في بيان أول نوفمبر، وهي مرتبطة بالممارسات الميدانية للثورة. وأن مصدرها هو الجذور التاريخية للشعب الجزائري[3].

وعلى هذا الأساس، فإن نفي الاديولوجيا، أو نفي الاعتقاد في أفكار معينة عن الثورة الجزائرية فيه إجحاف بحقها الرسالي. والهدف الذي كانت تصبو إلى تحقيقه، بوصفها مشروعا حضاريا متكاملا. ولعل السبب الأساسي الذي اعتمد عليه الكثير في نفي الاديولوجيا عن الثورة، هو ما أشار إليه **بوصفصاف** حين قال: " لعل ما جعل الحركة الوطنية الجزائرية تفتقر إلى اديولوجيا ناضجة ومتكاملة، هو ما كان يتجاذب الشعب الجزائري من اديولوجيات أجنبية

(1) محمد العربي الزبيري. المثقفون الجزائريون والثورة. ط؟. المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر 1995. صفحتي 25/24.
(2) عبد الله ركيبي. دراسة مقارنة للتيارات الفكرية قبل الثورة وأثناءها. مجلة الأصالة.ع 22 . بتاريخ 1974. ص38.
(3) أحسن بومالي: استراتيجية الثورة الجزائرية. ط؟. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر دون تاريخ. ص52.

مختلفة، وهو في غنى عنها باعتباره شعبا مسلما يستطيع أن يجد في الإسلام نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا متكاملا " [1]. فالسبب واضح إذن: إن مختلف الاديولوجيات التي رفضها الشعب الجزائري أثناء الثورة كانت لا تستقيم مع تصوراته وطموحاته. ونفي ورفض كل هذه الاديولوجيات يعني من الجانب الآخر التمسك بأديولوجيته التي اطمأن إليها والمتمثلة في الدين الإسلامي وما يحمله من نظم مختلفة. بل إنّه حتى بعض الجزائريين الذين تسربلوا بالاديولوجيات الغربية، وأغروا بها، " لم يعتنقوها اعتناقا كليا باعتبار أنّ فطرتهم الإسلامية لم تقبل كثيرا من مبادىء هذه الاديولوجيات، كالشيوعية والماركسية مثلا " [2].

وأما بالنسبة للتفسير الماركسي للثورة، واعتبارها صراعا للطبقات: فإن هذه الدعوى لا تستقيم من عدة أوجه ذكرها **أحمد بن نعمان** في:

أ/- " إنّ الجهاد في الإسلام مفروض على الفقراء والأغنياء على حد سواء.

ب/- إنّ مبادىء الإسلام لا تفرّق بين الناس في التكليف بالواجبات الدنيوية والأخروية.

ج/- لم يكن بإمكان أحد في الثورة أن يقفل باب الجهاد والاستشهاد أمام المؤمنين الأغنياء، ولا يفتحها إلا أمام الفقراء المعدمين.

د/- كان بإمكان الأغنياء الجزائريين- لو أرادوا - أن يتحالفوا مع الأغنياء المستعمرين ضد المستضعفين المقهورين من الجزائريين والفرنسيين في الجزائر.

هـ/- الواقع يثبت أنّ المجاهدين كانوا من الأغنياء والفقراء. ومن الأميين والعلماء، والخونة - أيضا- كانوا من الفقراء والأغنياء، ومن المتعلمين والجهلة.

و/- إنّ عقيدة الجهاد المتأصّلة في نفوس المجاهدين ذوّبت بفضل الوعي الثوري كل الطبقات - إن كانت هناك طبقات - وأصبحت لا تفرق إلا بين المجاهد والخائن(...)"[3].

هذه الدلائل وغيرها تبين بوضوح أن ليس هناك أي مقياس نستند إليه لنفسر الثورة الجزائرية تفسيرا ماركسيا. إذ سيادة التفسير المادي على أحداث التاريخ البشري، لا ينطبق بأي شكل على ما حدث في الثورة الجزائرية، وخاصة أنّ الحديث عن مجتمع مسلم لا يؤمن بأنّ الدين أفيون الشعوب. وعليه يمكن القول أنّ الفرضية التي أطلقها **غي موليه**، ومحاولاته

---

(1) عبد الكريم بوصفصاف:ج.ع.م.ج وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى.ط؟.م. و.للمجاهد.الجزائر دون تاريخ.ص322.

(2) المرجع نفسه.ص322.

(3) أحمد بن نعمان- الجهاد وثورة الاستقلال- ط1. دار البعث. قسنطينة 1982. ص56.

الرامية إلى إيجاد تفسير ماركسي للثورة – كما يقول فرحات عباس في ليل الاستعمار – إنّما الهدف منها تشويه صورة الثورة في أعين الجزائريين. إذ كيف يمكن قبول ذلك مع أنّ أقوال معظم الفرنسيين المعتدلين تشهد بإسلامية الثورة الجزائرية ؟. لقد قال **اندري بوفر** عن الثورة إنّها:" نموذج للحروب الثورية الإسلامية "[1]. ويضيف الزبيري إلى هذا نفي وصف الشيوعية عن الثورة: ذلك أنّ الشعب الجزائري كله مسلم، وأنّ الأنظمة الشيوعية لم تعترف بالثورة الجزائرية إلا بعد حوالي ست سنوات من القتال، وبعد أن بات الاستقلال مؤكدا. ولم يخالف هذا إلا يوغوسلافيا والصين. وعليه كان الغرض من ذلك هو صرف الشعب الجزائري عن الثورة[2]. ومنه نخلص إلى كون الثورة الجزائرية هي جهاد إسلامي مشروع ،لم يعرف صراع الطبقات ،ولا الاديولوجيات الغريبة عن فطرة الشعب الجزائري. وقام بهدف تحقيق مشروع حضاري متميز، يستمد مقوماته من مبادئه الثلاث الكبرى: الإسلام والعربية ووحدة التراب الوطني.

(1) بسام العسلي. الثورة الجزائرية. مرجع سابق. ص10.

(2) محمد العربي الزبيري. الثورة الجزائرية في عامها الأول. ط؟. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1984. ص94.

الفصل الأول:

البعد التحرري في العقيدة الإسلامية.

تمهيد.

المبحث الأول: التوحيد والتحرر

*المطلب الأول: تحرير العقل

*المطلب الثاني: تحرير النفس من الشهوات والأهواء

*المطلب الثالث: تحرير علاقة الإنسان بخالقه من الوسائط.

المبحث الثاني: أثر الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالقضاء والقدر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

لا يختلف اثنان في أنّ العرب قبل مجيء الإسلام كانوا قبائل متناثرة، متناحرة، في صحراء قاحلة، لا تأثير لها – من قريب أو بعيد– في تشكيل الحضارة التي كانت تتقاسمها آنذاك فارس والروم. فلمّا جاء الإسلام أحدث الانقلاب العظيم، وأخرج من تلك القبائل العربية الأميّة جيلا ساد العالم، وحوّل مشعل الحضارة الإنسانية إلى الأمة الوسط آخذا إياه – عن جدارة واستحقاق– من الإمبراطوريتين العظيمتين وذلك في زمن قياسي لم تعرفه حضارة قبله، ولن تعرفه حضارة من بعده.

والفضل في ذلك كله يرجع **للعقيدة** التي جاء بها هذا الدين الجديد، والتي عمل الرسول – صلى الله عليه وسلم – على غرسها وتثبيتها في نفوس أصحابه من يوم بعثته إلى يوم وفاته، فهذه **العقيدة** هي التي حرّرت الإنسان– الأمّي، التافه، الصغير، المنزو، السلبي– من عقاله، وفجّرت طاقاته، فانتقل من الدركات الدنيا في الحياة إلى صانع، ثم سيد للحضارة الإنسانية، فهي إذن عقيدة للتحرّر والسّمو، وهي عقيدة الحيوية الدافقة التي تصنع الحياة. وباطل ما ذهب إليه ماسنيون – ومن سار في ركبه– إذ اعتبر تخلف المسلمين راجع أساسا إلى عقيدتهم قياسا على واقع المسلمين الحالي.

ولعل أعظم ميزة صحبت مجيء العقيدة الإسلامية هي كونها حملت معها ما يمكن تسميته: بمبادىء التحرّر الإنساني. فهي عقيدة تحرير وتنوير وتثوير، فهي تحرّر الإنسان من نفسه والآخرين، وتنوّر حياته بالعلم بها، وتثوّره على الأوضاع المخالفة لما تنشده. إذ صلاح الإنسان والحياة هو بمقدار التمسّك بها وبمبادئها، فأين يظهر **بعد التحرّر في مبادىء العقيدة الإسلامية ؟.**

المبحث الأول: التوحيد والتحرّر:

التوحيد في الإسلام تحدّده ألفاظ الشهادة: لا إله إلا الله. وهي تعني: " العلم والإقرار والاعتراف والاعتقاد بأنّ المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه هو الله تعالى، وإن يتبيّن ذلك ويظهر على اللسان وفي الأفعال والسلوك "[1]. وعليه فإنّ التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة والتوجّه، وذلك ما يُسمّى: توحيد الألوهية. واعتقاد بأنّه الخالق والمتصرّف في كل شيء: وهو ما يُسمّى: توحيد الربوبية، هذا الأخير هو اعتراف الإنسان بخالقه وما يليق به اعترافا نظريا وتصديقا قلبيا، واطمئنانا نفسيا، وهو جزء التوحيد الذي لا يكتمل إلا بالتوجّه إلى الله تعالى بالعبادة والطاعة. هذا الجزء – العملي– يمثل حركة التشبه بالله، أي السعي إلى الكمال قدر المستطاع، ذلك أنّ المسلم " يطلب الكمال في كل أفعاله، فلا يصل إلى مرتبة حتى يطلب مرتبة فوقها، ولا يزال آخذا في هذا التدرّج من كامل إلى أكمل منه فالأكمل "[2]. متبعا في سعيه " أحكام شرع الله المطهّرة والمقرّبة "[3]. هذا السعي هو محاولات المسلم المستمرة للتحرّر من النقص من خلال استجلاب الأكمل فالأكمل، وهو ما يمثل حركة الرقي نحو تحصيل درجة المستخلف كما يريده الله تعالى.

ولما كان التوحيد هو: " لب الإسلام وأساسه، ومنه تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ومناهجه، وكل ما فيه من عبادات وأحكام يرسخه ويقويه ويثبته "[4]. كان بذلك حركة تحرّر شاملة تعيد صياغة الإنسان من جديد. فالتوحيد:

- يطهّر العقول من الأوهام الفاسدة والعقائد الخرافية، ويرتفع بالإنسان إلى أسمى مراتب الكرامة.
- يردّ للإنسان حريته، ويطلق إرادته من القيود التي تكبّلها، فيحرّره من كل المخلوقات ويردّه إلى الله وحده.
- يشنّ حربا على التقليد وأصوله الراسخة ليؤكد استقلالية الإنسان و فردانيته.

ثم هو بعد ذلك الفكرة التي تبعث الحيوية والحركة في عناصر الحضارة الثلاث: الإنسان

---

(1) ع.الكريم زيدان: أصول الدعوة. ط؟. قصر الكتاب. الجزائر 1990. ص18.
(2) طه عبد الرحمان: العمل الديني وتجديد العقل. ط2. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء 1997. ص67.
(3) المرجع نفسه. ص67.
(4) عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة.مرجع سابق.ص24.

والتراب والوقت، فتخرجها من تكدّسها إلى التجسّد الحضاري توسّلا في ذلك بمبدأ الحرية "[1]. فالتوحيد بهذا يجعل منطلقه الإنسان بعد تحققه بمبدأ الوحدانية التي تعني من الجهة الأولى: إفراد الله تعالى بالطاعة والعبادة على مستوى علاقة الإنسان بخالقه. ومن الجهة الثانية: تحقيق لوحدانيته وحدة الذات والخروج من الازدواج أو الانفصام في الشخصية، على مستوى الإنسان ذاته. هذه الوحدة الذاتية تظهر في الانسجام والتناسق بين: الإيمان والعمل، القول والفعل، الظاهر والباطن. بحيث يدرك الإنسان أنّه عالم وحده مستقلّ عن الآخرين، وتتوحّد كل طاقاته لتحقيق هدف واحد في الحياة هو: حق الخالق على عباده الذي حدّده حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- عندما سأل معاذ:﴿ يا معاذ بن جبل: هل تدري ما حق الله على عباده ؟ وأجاب: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ﴾[2].

ينتقل التوحيد عبر هذا الإنسان الموحّد من خلال أعماله الحياتية المختلفة إلى تحقيق وحدة المجتمع التي تنتج تلقائيا نظرا لوحدة الهدف، فوحدة التفكير والتصوّر. ذلك أنّ " العقيدة الإسلامية الموحّدة للمسلمين إديولوجيا هي الموحّدة أيضا لعقولهم بتشكيلها على خصال منهجية في النظر المعرفي متجانسة، وأصبحوا يفكرون بالطريقة نفسها، فيتوصّلون إلى رؤى وحلول متجانسة في تدبير الحياة "[3]، ثم منها إلى الحضارة الموحّدة. فالتوحيد – بهذا المنظور- يكون سبيلا إلى الوحدة الإسلامية المنشودة والخلافة المرتقبة في صياغتها الجديدة. ومنهجه في ذلك تحرير الإنسان في عقله ونفسه وسلوكه، وتحريره من الوسائط في علاقته بخالقه، ثم تحديد هدفه – القرب من الله – وإمكانياته: كل الكون مسخّر له، وتزويده بدليل – القرآن – السير لإدراك ذلك كله.

المطلب الأول: تحرير العقل:

آفات ثلاث أضرّت بالعقل الإنساني:

أولا/- آفة التأليه: والمقصود بها رفع مكانة العقل من كونه خاصية إنسانية تمتاز بالمحدودية الزمانية والمكانية والطرفية إلى اعتباره قوة إلهية من خلال نسبة الكمال إليه. فالعقل لا يخطئ، وله حق تناول المسائل جميعا غيبية كانت أو طبيعية، وجودية أو ماورائية، وله حق

(1) مالك بن نبي: شروط النهضة. ترجمة:عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي.ط2.مكتبة دار العروبة.القاهرة.1961. ص55.
(2) رواه البخاري.
(3) عبد المجيد النجار:دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين.ط1.المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1992. ص32.

التشريع للبشرية جميعا أيضا. فهو حر في أن يبحث ما يشاء دون حدود تحجُره وتعطل وظيفته.

ثانيا/- آفة التبديد: والمقصود بها تبديد طاقة العقل في غير مجالها المثمر. وهذا ناتج عن آفة التأليه. إذ تبدّدت طاقة العقل في البحث عن قضايا لا تُدرك. فكان للعقل اليوناني أساطيره الإلهية لمّا افتقد سند الوحي، وللعقل الإسلامي خرافاته و شعوذاته لمّا اتّخذ الكتاب والسنّة ظهريا.

ثالثا/- آفة التجميد: والمقصود بها مصادرة التفكير، والإبقاء على طاقات العقل كامنة وهذه الدعوى تستند إلى:

- أنّ الأول ما ترك للآخر شيئا، فكل القضايا قد أشبعت مناقشة وتحليلا، وتمّ الفصل فيها فلا داعي للاجترار، بل التقليد أولى. وكان نتيجة هذا غلق باب الاجتهاد في الفكر الإسلامي.
- أنّ العقل الإنساني أعجز من أن يفهم نصوص الوحي المقدّسة. فما عليه إلا أن يؤمن، وإذا أراد أن يعقل فليعقل داخل حدود إيمانه، وإذا تعارض العقل والإيمان فليُلغ العقل. وهذا صلب معتقد الديانة المسيحية.

التوحيد في الإسلام ثورة على هذه الآفات وغيرها، فهو يقتلع جذورها ابتداء عندما يميّز بين: الخالق والمخلوق. ويجعل العلاقة بينهما هي علاقة **الكامل** و**الساعي لتحصيل الكمال**، وفق منهج وتشريع يحدّده **الكامل** لأنّه هو الأعلم بكيفية تحصيل الكمال. وبما يناسب الإنسان المخلوق وما لا يناسبه، وعندما ينسب المسلم إلى عقله صفة **التأليه** فقد شأن التوحيد، وأخلط بين عالمين منفصلين تماما، عالم ماهو إلهي، وعالم ماهو إنساني، ويكون بذلك متخذا لإلهين اثنين عقله وخالقه، وهذا منهيّ عنه بنص الآية:﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنّما هو إله واحد فإيّاي فارهبون ﴾ [النحل 51].

ونتائج تأليه العقل مدمرة له وللإنسان، ذلك أنّه سيتجاوز كل حدوده، ويبحث في كل الشؤون، ما كان من طاقته وما يتجاوزها. وذلك ما حدث فعلا، فقد بحث مثلا في صورة الإله فأنهكت قواه، وجعلته يتيه في تصورات شتى. فمن تأليه قوى الطبيعة ومظاهرها إلى تأليه الأبطال. ومن تأليه الأحياء إلى تأليه الأموات، وتعاضدت الأساطير والخرافات ومختلف

الشعوذات مع ذلك لتزيد العقل زيغا والإنسان ضلالا. فما خرج من هذا كله بشيء يرضيه أو يسدّد حياته، بل انتقل من حيرة إلى أخرى أشد. حتى جاء الإسلام بتوحيده فأغلق هذا الباب، ونهى عن التفكر في ذات الله ذلك أنّ " الفكر في ذات الخالق، طلب للإكتناه من جهة، وهو ممتنع عن العقل البشري، لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين ولاستحالة التركيب في ذاته، وتطاول إلى ما لا تبلغه القوى البشرية من جهة أخرى. فهو عبث ومهلكة: عبث لأنّه سعي إلى ما لا يدرك. ومهلكة لأنّه يؤدّي إلى الخبط في الاعتقاد "[1].

ثم فتح له مختلف الأبواب ليبحث ويستكشف ويقضي على الجمود، مستعينا في ذلك بمرشد إلهي يعينه في الوصول إلى ما فيه سعادته، ذلك أنّ العقل البشري لا يستطيع أن يستقل لوحده – صفة القيام بالذات: صفة إلهية – فبدأ آمرا إيّاه بأن يفكر ذلك أن التفكير فريضة إسلامية.

أولا: <u>التفكير فريضة إسلامية</u>:

وهو ما دلّت عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى:﴿ قل انظروا ماذا في السّموات والأرض ﴾ [يونس101]. وقوله تعالى في سورة أخرى:﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر02]. وقوله تعالى أيضا:﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [الأنبياء67]. وأحاديث مستفيضة تدعوا إلى الاجتهاد واستعمال العقل، وتجعل للمجتهد أجرا حتى وإن أخطأ. قال – صلى الله عليه وسلم –: " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر "[2]. وأقرّ معاذ بن جبل على الاجتهاد في الحكم عندما بعثه قاضيا إلى اليمن. وقال آمرا: " اجتهدوا فكلّ ميسّر لما خلق له "[3]. وقال أيضا عندما نزل قوله تعالى: ﴿ إنّ في خلق السّموات والأرض... الآية ﴾ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها " [4]. ثم نزل باللائمة على المجمّد لعقله المقلّد لآبائه حتى وإن كانوا لا يعقلون شيئا ولا يفقهون. فقال تعالى:﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ [البقرة170]، بل وحرّم التقليد في أمور الاعتقاد. يقول الزحيلي:

---

(1)محمد عبده. رسالة التوحيد. ط؟. سلسلة الأنيس. الجزائر 1990. ص108.

(2)متفق عليه من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة ورواه بقية أصحاب الكتب الستة.

(3) رواه البخاري

(4) رواه ابن حبّان في صحيحه.

" مسائل العقائد أو الأصول كمعرفة الله تعالى وصفاته والتوحيد... ممّا هو ثابت قطعا لا يجوز فيها التقليد عند جمهور العلماء، وإنّما يجب تكوينها بالاعتماد على النظر والفكر لا على مجرّد المحاكاة والتشبّه بالآخرين "[1]. وسبب تحريم التقليد هو ما يلحقه بالإنسان من مصادرة شخصيته، والحطّ من كرامته، والإحساس بالدونية والتبعية الدّائمَيْن، يقول العقاد: " إنّ المُقلِد يكون دائما أحط حالا وأخسّ منزلة من المقلد، فالمقلد إنّما ينظر من عمل المقلد إلى ظاهره ولا يدري سرّه ولا ما بني عليه، فهو يعمل على غير نظام، ويأخذ الأمر لا على قاعدة"[2]. وقد يؤدّي إلى التعصّب للخطأ الصادر من إمام معيّن حتى وإن عارض نصوص الكتاب والسنّة كما قال العزّ بن عبد السلام، متحدّثا على بعض الفقهاء: " ومن العجب العجيب أنّ الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه، بحيث لا يجد لضعفه مدفعا، وهو مع ذلك يقلد فيه، ويترك من شهد له الكتاب والسنّة والأقيسة الصحيحة لمذهبهم، جمودا على تقليد إمامه، بل يتحايل لدفع ظواهر الكتاب والسنّة ويتأوّلها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا على مقلده "[3].

ثانيا: عقل مصاحب للإيمان:

قلب الإسلام شعار المسيحيّة: آمن ثم أعقل رأسا على عقب، وأقام التوحيد على دعائم التعقل والبرهان،﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ [الإسراء 36]. وجعل شرط الدخول إلى رحابه النطق بالشهادة مع العلم بها، فلا يغني النطق وحده[4]. فقال تعالى: ﴿ فاعلم أنّه لا إله إلا الله ﴾ [محمد19] وقال أيضا: ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ [الزخرف 86]. وفي الصحيح عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "من مات وهو يعلم أنّه لا إله إلا الله دخل الجنّة"، وأرشد العقل إلى النظر في دلائل الوحدانيّة مستعرضا معه دليل الفطرة ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾[الروم 30]. ودليل العناية والإتقان ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾

(1)وهبة الزحيلي. أصول الفقه الإسلامي. ج2. دار الفكر. ط؟ الجزائر1992. ص1122.
(2) عباس محمود العقاد. التفكير فريضة إسلامية. ط؟. مكتبة رحاب. الجزائر دون تاريخ. ص141.
(3) نقلا عن وهبة الزحيلي. أصول الفقه الإسلامي. المرجع السابق. ص 1122 / 1123.
(4) عمر سليمان الأشقر. العقيدة في الله. ط؟. قصر الكتاب. الجزائر 1989. ص 230 / 231.

[الأنبياء 22] ثم دليل السّببيّة ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ [الطور 35]، وغيرها من الأدلة. وكذلك شأن السنّة، وأحاديث الرّسول – صلى الله عليه وسلم – في ذلك كثيرة يكفي منها تدليلا على مبدأ السّببيّة نهيه لأصحابه في قولهم أنّ السّماء تفطرت لموت ابنه إبراهيم، وإرشادهم إلى أنّ ذلك لا علاقة له بموت أحد، وإنّما هي أسباب ومسبّبات، وسنن الله في الخلق. وقدّم علماء الإسلام العقل إذا تعارض مع ظاهر الشرع، " فقد اتفق أهل الملة الإسلامية – إلا قليلا ممّن لا ينظر إليه – على أنّه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دلّ عليه العقل وبقي في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه. و الطريق الثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل "[1]. وجعل الإسلام العقل مناط التكليف – وعن المجنون حتى يعقل –. ومن مقاصده الكبرى حفظه، بعد الدين والنفس، وفتح المجال للاختلاف وتعدّد الآراء، فكان نتيجة ذلك كله تراث هائل خلفته الحضارة الإسلامية في جميع الميادين.

فالتوحيد في الإسلام إذ هو يفصل بين ما هو إلهي وما هو إنساني، فهو يضع العقل في مكانه الصحيح. فلا يجعله يبدّد طاقاته في الشأن الإلهي وهو لا يقوى على إدراك كنهه، ولا يحجر عليه في أداء وظيفته في عالمه الإنساني. ومن أجل ذلك بدأ أولا يعرّفه بخالقه واصفا إيّاه بكل ما يليق بالخالق، ثم أقام الدّليل على ذلك حتى لا يعتقد المسلم في آلهة أخرى تكون من وحي عقله أو ممّا يستشعره من العجز نحو ما هو أقوى منه، فيؤله من لا يستحق ذلك أصلا، ويحتقر بذلك نفسه ويحط من كرامته لمّا سمح لنفسه أن يعبد من لا دليل يعضده، ودخل في عالم الخرافة والأسطورة والأوهام. ثم له الحريّة كلها في أن يبحث في الشأن الإنساني، وفي كل ما يعينه على أداء وظيفته إذ هو الخليفة في الأرض والسيّد فيها.

المطلب الثاني: تحرير النفس من الشهوات والأهواء:

التوحيد يحصر مصدر التلقي عند المسلم في: الله عزّ وجلّ وما أنزله في قرآنه من أوامر ونواهي وما شرّعه رسوله – صلى الله عليه وسلم – من أحكام﴿ إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور 51]. وأي انحراف عن هذا المصدر معناه بداية السقوط في تعدّد المصادر، وبالتالي تعدّد المناهج والسّبل،

(1) محمد عبده. الإسلام والنصرانية. ط؟. سلسلة الأنيس. الجزائر 1990. ص49.

حتى إذا وصل الانحراف مداه، عنى ذلك أنّ المسلم قد غيّر وجهة الاستمداد من الله عزّ وجلّ إلى وجهة أخرى غالبا ما تكون: أهواء النفس وشهواتها. وهنا يكون قد وقع في المحظور – خصوصا إذا أسلم لها القياد، ودخل في طاعتها المطلقة، فهي التي تحلّ وتحرّم له – واتخذ الهوى إلها من دون الله.

وهو ما وصفته الآية الكريمة: ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [الفرقان 43]. واتخاذ الهوى إلها معناه أن يصبح الإنسان مستقلا عن الله مشرّعا لنفسه على مقياس هواه. فما كان موافقا لهواه ملبّيا لشهواته فهو الحلال والمعروف. وما خالفه فهو المحرّم المحظور. وفي هذا خروج للإنسان عن إنسانيّته من حيث كونه نازع الله في التشريع: فهو آخذ لما ليس من حقه. وخروج عن إنسانيّته بتعطيله لوظيفة عقله – إذ العقل هو ضابط الشهوة وكابح الأهواء – وتدني إلى دركات الحيوانيّة السّافلة، فهو لم يعد يستمد تشريعاته لا من خالقه ولا من عقله – من أشرف ما فيه – وانحدر إلى الأهواء والشهوات يستمد منها فهو ﴿ كالأنعام بل هو أضل ﴾ [الأعراف 179].

وإتباع الهوى – بالإضافة إلى كونه يودي بمكانة الإنسان – فهو يخرجه من عبوديته لخالقه، إلى عبوديته لكل شيء. فهو عبد للدنيا لتكالبه عليها، " لا يهمّه إلا قضاء شهواته ولذّاته، والوصول إلى أطماعه دون قيود ولا ضوابط، فهو وراء المرأة و الخمرة والكسب الحرام واللعب واللهو والزينة والفخر والجاه، وكل ما يعتبره لذيذا أو مبهجا أو نافعا أو رافعا "[1]. وهو عبد للشيطان إذ يتبع خطواته وما يزيّنه له من الباطل. وهو عبد للناس لطمعه لما في أيديهم، فإنّه " إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبّب إليه التصنّع والتزيّن لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يعود المطموع فيه كأنّه معبوده، فلا يزال يتفكر في حيلة للتودّد والتحبّب إليه. ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك. وأقلّ أحواله الثناء عليه بما ليس فيه، والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[2]. فينتقل من عبوديّة إلى أخرى، ومن ذلّ إلى آخر جريا وراء سراب اللذة. فتتقطع وتخور قواه لتشعّب السبل، وكثرة مطالب النفس، ونهمها المتواصل، ويفقد إرادته فلا يقوى على التحكم في نفسه. فيكون تابعا لغيره باستمرار إذ:

(1) سعيد حوى. المستخلص في تزكية الأنفس. ط4. دار الفكر. الجزائر 1992. ص249.
(2) المرجع نفسه. ص139.

كلّ من في نفسه لا يحكم **** هو في حكم سواه مرغم

كما يقول **إقبال** ثم تنطمس البصيرة، ويغشى القلب الران. فيعيش الإنسان بجزئه، ولجزئه الطيني فقط. فيرجع بذلك إلى مرحلة **ما قبل نفخ الروح فيه** أي كونه شيء من الأشياء، بل طين لا قيمة له.

فالتوحيد عندما يربط الإنسان بخالقه، فهو يخرجه من العبوديّة لنفسه وللمخلوقين – وهم ليسوا أهلا لها – ويجعله عبدا لمن يستحق العبادة فعلا. " إنّه يمنح المسلم وحدة الوجهة، ووحدة الغاية في حياته كلها، فهو يرضي ربّا واحدا في كل ما يأتي وما يدع، ويتجه إلى هذا الرب بسعيه كله الدّيني والدّنيوي، لا انقسام ولا صراع ولا ازدواج في شخصيّته ولا في حياته... وبهذا ينصرف همّه كله إلى الله، ويجتمع قلبه كله على الله. ولا يتوزّع شمل حياته وفكره وإرادته ووجدانه بين شتى الاتجاهات والتيارات والانقسامات. فتصبح حياته كلها وحدة لا تتجزّأ" [1]. عكس الذي تشعّبت عليه الأهواء والسبل فهما لا يستويان: ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل. هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [الزمر 29].

وهذا الرب الذي يتجه إليه وحده، ويستمد منه وحده – إذ هو رب – يغنيه عمّا سواه: فهو أن يطلب منه أن يعطيه ويغنيه عن الذلّ للناس طمعا فيما عندهم، فيحرّره من كل المخلوقين، ويقنطه فيما عندهم، إذ ليس عندهم إلا ما أعطاهم خالقهم. ويفهمه أنّه يكون حرّا بمقدار انتفاء الطمع فيما سوى الله. " أنت حرّ ممّا أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع "[2]. و" إنّك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشيء ممّا دونه لك مسترقّ "[3]. أي إنّك لن تصل إلى صريح الحريّة إلا إذا كنت لله وحده. ثم هو الأدرى بما ينفعك وما يضرّك. فهو إن يحذّرك من إتباع الهوى، فإنّه يريد ضمان كرامتك وإنسانيتك، وتغليب عقلك على شهوتك. إنّه يريد أن تدخل صراع العقل والغريزة وأنت صاحب إرادة. تقول (لا) أو(نعم) حسب تقدير عقلك المسترشد بهدي ربّه. فيكون اختيارك دليل تحرّرك. وقد يعتقد كثير من الناس أنّ الانطلاق في اتجاه الغرائز والأهواء حرية، " فهُمْ بذلك يحاولون أن يُبرِّروا الاسترسال في تحصيل المتع والرغبات دون نقد يوجّه إليهم، ودون اعتراض على تصرّف ما قد يساعد على تحصيل هذه

(1) يوسف القرضاوي. العبادة في الإسلام. دار الشهاب. الجزائر دون تاريخ. ص66.
(2) عبد المجيد الشرنوبي. شرح الحكم العطائية. دار الهدى. ط1. الجزائر 1991. ص63.
(3) المرجع نفسه. ص141.

المتع، وفي الوقت نفسه ربّما يسيء إلى الغير وحرماته، بل يسيء إلى تلك النفس ذاتها المندفعة في تحصيل المتع والرّغبات "[1].

فالتوحيد إذ هو سعي إلى تحقيق الاستقلال الذاتي عمّا سوى الله تعالى، وبحث عن تحقيق قيم المثال في الواقع، وخلق وإبداع متواصل، هو الحريّة عينها. أو ليست الحريّة الإنسانيّة في النّهاية سوى تلك الروح التي تنبثق في الإنسان حينما يصل إلى التحرّر من قيود الأهواء والمخلوقين ؟[2].

المطلب الثالث: تحرير علاقة الإنسان بخالقه من الوسائط:

نظرة في تاريخ الإنسان تبيّن أنّ علاقته مع خالقه لم تكن يوما مباشرة ودائمة وخصبة إلا مع مجيء الإسلام. إذ التوحيد في الإسلام قائم على ربط علاقة مباشرة بين الإنسان وخالقه، ونفي مختلف الوسائط التي يمكن أن تحول بينهما. هذه الوسائط – تاريخيا– تمثلت في أشكال مختلفة:

- فهي أصنام عند العرب قبل مجيء الإسلام، ومنحوتات وتماثيل مختلفة في البلاد البوذيّة والشركية القائمة.
- وهي كهنة وقسّيسين عند النّصارى واليهود، وبراهمة عند الهنود.
- وهي قبور وأولياء عند المبتدعة من المسلمين.

كل هذه الوسائط جنت على الإنسان ويلات متلاحقة. فقد فتحت الباب واسعا للاستبداد والمستبدّين. فتولى رجال الدّين والملوك وغيرهم ممّن وصف نفسه بأنّه ظل الله في الأرض، التحكم في رقاب الناس وإذلالهم، وامتصاص عرقهم وعصارة جهدهم، موهمين إيّاهم أن توبتهم لن تقبل إلا إذا توسّطوا لهم عند الخالق، وأنّ دخولهم الجنّة مشروط بتقديم الولاء والطاعة وشراء صكوك الغفران، وأنّ أرواحهم لن تلقى ربّها " ما لم يأخذوا عنها مكوس المرور إلى القبور وفدية الخلاص"[3]. فكان نتيجة ذلك ظهور الطبقية المقيتة، وغياب المساواة والعدالة بين الناس، فطبقة مقرّبة من الله، نالت الرّضوان والمكانة عنده، فهي تتحدّث وتحكم باسمه. تدخل الناس الجنّة وتقبل توبتهم بمقدار توسّلهم إليها وتزلفهم وتملقهم. وطبقة أخرى – الغالبية من

(1) محمد البهي. الدين والحضارة الإنسانية. ط2. دار الفكر. بيروت 1974. ص209 / 210.
(2) انظر. زكرياء إبراهيم. مشكلة الحرية. ط3. مكتبة مصر. القاهرة. دون تاريخ. ص201.
(3) عبد الرحمان الكواكبي. طبائع الاستبداد. ط؟. دار الأنيس. الجزائر 1988. ص20.

الناس– مغضوب عليها، لا شأن لها إلا خدمة أولياء الله، خاصة وأنّهم طريق المرور إليه. فأفرز ذلك الوضع العطل التام لإرادة الإنسان، فانحطت كرامته، وشلت طاقاته وأطبق عليه العجز المطلق، فاستسلم للكسل والخمول، وتسربل باليأس وفقدان الأمل في التغيير وتحقيق أي هدف في الحياة.

فما كان من التوحيد في الإسلام إلا أن يرفع عن الناس هذا الإصر وهذه الأغلال. ويصيح أنّه:" لا مكان في الإسلام للوسطاء والسماسرة الذين يدّعون الشفاعة عند الله، ويزعمون احتكار الوساطة لديه، ويبيعون ويشترون في خلق الله. كما يصنع أنصار الملوك الجبارين والرؤساء المستبدّين "[1]. وأنّ للإنسان أن يتصل بخالقه مباشرة في الدنيا، كما سيخاطبه يوم القيامة دون ترجمان ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ [2]. فبدأ في نفي الوسائط مهما كان شكلها:

أ)– فالملائكة ليست واسطة، بل ﴿ هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء 27/26].

ب)– والرُّسُلُ بَشَرٌ اصطفاهم الله لِتبليغ رسالته، فهم لا يملكون لأنفسهم ولا للناس ضرّا أو نفعا: ﴿ قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ﴾ [الكهف 110]. ﴿ قل لا أملك لنفسي ضرّا ولا نفعًا إلا ما شاء الله ﴾ [الأعراف 188].

ج)– والأحبار والرّهبان عباد أمثالكم فكيف تتخذوهم وسائط ؟: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، والمسيح بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا ﴾ [التوبة 31].

د)– والقبور والأولياء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرّا، وللمتوسّل بهم الوعيد الشديد يصل إلى حدّ **الكفر بمحمد** وعدم قبول الصّلاة منه أربعين يومًا " مَنْ أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا "[3]. وكان الرّسول – صلى الله عليه وسلم – يدعو قائلا: " اللهُمَّ لا تجعل قبري وثنا يُعبد ".

---

(1)يوسف القرضاوي. العبادة في الإسلام. مرجع سابق. ص154.
(2) متفق عليه.
(3) رواه مسلم.

هـ)- وعموم الناس عاجزون و محتاجون إلى الله. ﴿ يا أيُّها الناس أنتم الفقراء إلى الله ،والله هو الغني الحميد ﴾ [فاطر 15].

ثم فتح الباب أمام الإنسان للاتصال المباشر مع خالقه، وحرّره من العجز الذي يستشعره كلما اتجه إلى القوة العظيمة الهائلة، وأفهمه أنّ له القدرة لوحده على أن يتخاطب مع خالقه دون ترجمان فجاءت آيات كثيرة في القرآن تدلّ على ذلك منها:

- قوله تعالى:﴿ وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان ﴾ [البقرة 186]. وهي الآية الوحيدة من آيات سورة البقرة التي لم يرد فيها لفظ (قل) للدّلالة على نفي الوسائط بين الخالق وعباده حتى وإن كان الرّسول الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم -.
- قوله تعالى:﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق 16].
- وقوله أيضا:﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ [الواقعة 85].

فيهما دلالة على أنّ الله تعالى قريب من عباده أكثر من قربهم إلى بعضهم البعض. وذلك ما يُسمَّى: المعيّة الإلهيّة. أي أنّ الله تعالى مُطلع على الإنسان في كل أحواله وشؤونه، و﴿ هو معهم أينما كانوا ﴾ [المُجادلة 07]. هذه المعيّة الإلهيّة الدّائمة هي التي تملأ المسلم بالحيويّة والصّفاء، وتجعله يتطلع دائمًا إلى التجاوز[1]. فهو يستشعر رقابة الله تعالى عليه، ومعيّته معه فيستمدّ من صفات الكمال الإلهي ما يَدفعُه إلى تدارك النقائص فيه، والسّعي إلى تحصيل الأفضل. إذ كلما أدرك المسلم أوصاف عُبُوديتهِ من الفقر والذلّ والعجز، وأدرك أنّ معه الغني والعزيز والقادر، كلما تعلق به مُستمدًّا منه، فيكون غنيّا بالله، عزيزًا بالله، قادرًا بالله. وهذا ما قصَدَهُ السكندري حين قال: " تحقق بأوصافك يمدّك بأوصافه، تحقق بذلك يمدّك بعزّه، تحقق بعجزك يمدّك بقدرته، تحقق بضعفك يمدّك بحوله وقوته"[2]. أي أنّ المسلم يدرك جوانب النقص فيه، وأنّ الكمال في خالقه، فيسعى عاملا جاهدًا لبلوغ ذلك قدر الاستطاعة، فيقضي عمره كله

(1) عبد العزيز الحبابي. الشخصانية الإسلامية. ط؟. دار المعارف. القاهرة 1969. ص61.
(2) عبد المجيد الشرنوبي. شرح الحكم العطائية. مرجع سابق. ص125.

في حيويّة دائبة سعيًا إلى الكمال. هذا السّعي هو **حركة تحرّر** دائمة ومتجدّدة، القصد منها إدراك الرّفعة والسّمو، والوصول إلى المعنى الحقيقي للكرامة الإنسانيّة التي شرّف بها الخالق سبحانه الإنسان: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ [الإسراء 70].

هذا السّعي إلى الكمال والتحرّر من النقص هدفه النّهائي هو تحقيق: القرب من الله، من خلال عبادته التي تسع حياة الإنسان كلها. فيكون التنافس بين الناس على قدم المساواة، لا فضل لأحد على آخر إلا بمدى قربه أو بعده عن الهدف. والذي يتحكم في القرب أو البعد هو المجهود الإنساني الخالص والصّائب. أي الذي يكون ضمن أوامر الله ونواهيه: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات 13]. وهذا هو الدّافع الأعظم في تفجير طاقات الإنسان لأداء دوره الرّسالي في صناعة الحياة. والثورة على اليأس والتواكل والجبريّة. وهو ما عجزت الفلسفة والأخلاق والسياسة عن إثارته في النفس الإنسانيّة، وتمكن الدّين لوحده من تحقيقه. ذلك أنّ العمل والرّغبة فيه والتحرّك الدّائم لا تصنعه البراهين العقليّة ولا الخطب السّياسيّة. وإنّما تحرّكه الرّغبة فيما عند الله وتقدير للجهد الإنساني وحده.

ولما كانت الطاقة الإنسانيّة في الحركة شاملة لمناحي الحياة، وشاملة للكون كله، وكان التوحيد يعني المعيّة الإلهيّة الدّائمة، حرّرت العقيدة الإسلاميّة الإنسان المسلم من إصر المكان. فليس لله مكان محدّد يُعبدُ فيه، وتسقط عبادته خارجه، بل الكون كله محراب المسلم ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله ﴾ [البقرة 115]. وقال الرّسول – صلى الله عليه وسلم – { وجعلت الأرض لي مسجدًا وطهورا } [1]. بل لقد ذمّ الإسلام وتوعّد من يتمسكن ويقبل الإذلال من أجل أن يقبع في موطنه. فقال تعالى:﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض. قال ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيرا ﴾ [النساء 97]. وفي هذا دعوة صريحة للتحرّر من المكان والسّعي في الأرض لتعميرها، والتحرّر من المُستبدّين. الذين يستضعفون الناس متى

(1) رواه الشيخان.

وجدوا فيهم القابليّة للاستضعاف، بالهجرة من مكان المهانة والذل إن كانوا لا يملكون القدرة على الثورة عليه وتغييره.

المبحث الثاني: أثر الإيمان باليوم الآخر:

يقول **أبو بكر جابر الجزائري:**" إن معتقد الإيمان بالله واليوم الآخر، هو رأس كل عقيدة، وأساس كل إيمان، وعليه مدار استقامة الإنسان وصلاح خلقه وطهارة روحه...إنّه وسيلة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، بما يُوجب في النفس من الرّغبة فيما عند الله من خَيرَيْ الدنيا والآخرة، وبما يوجد لها من الخوف من عذاب الله، والرّهبة في عقابه "[1] وإذا كان الإيمان باليوم الآخر أساس كل إيمان فإنّ ذلك يعني أن استقامة حياة المسلم متوقفة على الإيمان بوجود هذا اليوم.

لقد سلك الإسلام في توضيح هذا المعتقد مَسلكا فريدًا، إذ وضع المسلم بين معنيين للحياة الدنيا. وكيفية العيش فيها، ثم شدّه إلى ذلك اليوم الخالد. فالحياة الدنيا فانية، متاعُها زائل لا قيمة لها. ثم هي جسر خطير لابدّ من المرور عليه لحياة باقية. على المسلم أن يكون سيّدًا فيها يمتلك ما يشاء من متاعها، ولكن بشرط أن لا يمتلكه هذا المتاع. فهو المُتصرِّف في كل شيء فيها، وإذا انقلبت المعادلة وأصبحت الأشياء هي التي تتصرّف فيه، كان شيئا من الأشياء وفي هذا تنازل عن كرامته التي ضمنها له الخالق وميّزه بها ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ [الإسراء 70]. ثم أمره أن يُسخِّر كل ذلك المتاع خدمة لليوم الآخر الذي سيحاسب فيه عما استخلفه فيه.

إن من شأن هذا الإيمان أن يجعل المسلم **مسلمًا أخرويا** يعيش في الدنيا، فأعماله كلها ليست رهنًا بنتائج العمل الآني، بل باستقامة النية وصدق الجهد، وإذا كانت النتائج على الخالق، فأنّى لليأس أو القنوط أن يتسرّب إلى نفسه ؟ إن الموت عنده تصبح مطلبا يسعى إليه – إذا كانت في سبيل الله – إذ هو يحبّ الموت كما يحبّ الكافر الحياة، ذلك أنّ فيها انتقال من دار الفناء والأسر والتعب، إلى دار الخلود والجزاء. وهذا ما يجعل المسلم شجاعًا مقدامًا طالبًا للشهادة متسابقا إليها. إنّ الجزاء الأخروي دافع أساسي للعمل الدؤوب، وهذا ما يجعل حياة المسلم مُفعمة بضروب العمل الصّالح. وهو من جهة أخرى " صمّام الأمان في هذه الأرض، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة "[2].

---

(1) أبو بكر جابر الجزائري. عقيدة المؤمن. ط2. مكتبة الجديد. تونس 1985. ص259.

(2) عبد الله عزام. العقيدة وأثرها في بناء الجيل. مكتبة الأقصى. ط3. عمان 1980. ص37.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالقضاء والقدر:

إنّ إدراك المسلم أنّ خالقه قدّر له شكلا محدّدًا من الحياة سيَحْياه، يأتيه رزقه فيها دون زيادة أو نقصان، وأنّه لن يموت حتى يستوفي ذلك الرّزق، وعندها يحلّ الأجل المحدّد لرحيله إلى الآخرة، ثم مطالبته بأن يسعى ويُوفر كل الأسباب لإدراك ذلك، وتحذيره من الاستكانة والتواكل، كل ذلك من شأنه أن يجعل حياة المسلم في قمة الاطمئنان والرّاحة العقلية والنفسية. إذ ضمان الرّزق يحرّره من الخوف الذي يتملك الإنسان إذا شَعَرَ بقرب انقطاع رزقه. ويصرفه عن الاستكانة والتذلل لأيّ كان من البشر، ويُعلمه صُنوف الصبر والتجمل وتحمل المشاق، إذ الفرج بعدها قريب، حتى وإن كان استشهادًا في سبيل الله.

وتقدير الأجل بزمن محدّد لا يستقدم ساعة ولا يستأخر، إزالة الخوف من الآخر مهما كان، وترسيخ لاعتقاد مفاده: أن الضرّ والنفع لا يملكهما إلا الخالق سبحانه، إذ قد يتعرّض لكل المخاطر، ومع ذلك لا يفارق الحياة. وقد يعيش مسربلا في النعيم، ويتركه على حين غفلة، وهو سليم. ولهذا كانت المعرفة بالقدر من أعظم الوسائل في تعليم المسلم كيفية تحدّي الصّعاب، ومواجهة الأحداث الجسام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

مكانة العقيدة الإسلامية لدى الشعب الجزائري

تمهيد.

المبحث الأول: إسلامية الشعب الجزائري.

المبحث الثاني: مقاومات جهادية.

***المطلب الأول:** الأمير عبد القادر: الجهاد ضد الكفار.

***المطلب الثاني:** مقاومات على درب الأمير.

***المطلب الثالث:** الوجه الإسلامي للمقاومة السياسية.

أولا: الأمير خالد: المسلم المحافظ.

ثانيا: حزب الشعب: التمايز الحضاري.

ثالثا: دعاة المساواة بين الانبهار بفرنسا وجواذب النشأة الإسلامية.

رابعا: جمعية العلماء: الإصلاح العقدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

أتينا في الفصل السابق على تبيان أثر العقيدة الإسلامية بمبادئها وأصولها في تحرير الإنسان، وتبيّن لنا أنّ دافع طلب الحرية، والسّعي إلى التحرّر الذي تغرسه العقيدة الإسلامية في نفس الإنسان لا يدانيه أيّ دافع مهما كان نوعه. فالذي يأخذ هذه العقيدة بقوة، ويُحمِّلها صدقا، يُهوِّن أمامه كل شيء في هذه الدنيا. فلا عوائق تَحُول بينه وبين ما يريد. لقد أدرك يقينًا أنّ الذي خلقه ضمن له أن يعيش كما أراد، فلا يقوى أحد – مهما كان – أن يُغيّر من ذلك شيئا. فاطمئنّ إلى خالقه وما قضاه له. وبذل الأسباب قدر استطاعته، فعرف عندئذ معنى الحرية الحقيقية.

إنّ هذه الصّورة المشرقة للإنسان المتحرّر، ولدور العقيدة الإسلامية، تتجلى في ذلك المجاهد الجزائري أثناء الثورة التحريرية، عندما انتفض هو وإخوانه خفافا وثقالا، ونفروا كلهم على الظلم وكل أشكال القهر ومصادرة الحريات التي مارسها المستعمر منذ نزوله أرض الجزائر. وإلى أن خرج منها مهزومًا.

ولكن يلزمنا قبل إجلاء هذه الصورة أن نثبت ونؤكد أنّه فعلا، العقيدة الإسلامية هي التي كانت وراء ذلك الإنجاز العظيم، وأنّه لولا هي لما تحقق شيء ذي بال. ولكي نعرف هذا يجب أن نجلي مكانة العقيدة الإسلامية عند الشعب الجزائري في تاريخه الطويل، وكيف كانت قبل اندلاع الثورة التحريرية مؤشرًا بارزًا لدى مختلف التيارات الممثلة للشعب الجزائري آنذاك. أي يجب أولا أن نبحث عن التربة التي ترعرع فيها أولئك الذين قادوا الجهاد المبارك، وأولئك الذين انخرطوا فيه دون قيد أو شرط من عموم الشعب الجزائري.

المبحث الأول: إسلامية الشعب الجزائري:

تمتد جذور الشعب الجزائري عموديا إلى أزمنة سحيقة في القدم، تعود إلى فترة ما قبل الميلاد، حيث أقام حضارة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وفي منطقة الجنوب (الطاسيلي). وتعاقبت على غزوه واستعماره شعوب مختلفة، بداية من الفنيقيين وحتى البيزنطيين. وقد واجه هؤلاء الغزاة ببسالة منقطعة النظير، حيث تمكن من دحرهم، والمحافظة على عاداته وتقاليده وديانته في ظل حريته.

فلما جاء الفاتحون المسلمون إلى بلاد المغرب – ومنها المغرب الأوسط – تعرّضوا لمقاومة شديدة لم يشهدوها في أيّ منطقة فتحوها من قبل، إذ استغرق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أكثر من سبعين سنة. مما يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الأمازيغ (الرجال الأحرار) رافضون لكل دخيل أجنبي. ويعود سبب هذه المقاومة الشديدة لاعتقاد السّكان أنّ الفاتحون المسلمون لا يختلفون عن الغزاة السّابقين، وأنّهم هواة سطو وتخريب، وطلاب غنائم، ولكنّهم بمجرّد أن عرفوا أنّ هذا ليس مقصدهم الذي جاءوا من أجله، اندمجوا في الإسلام اندماجًا كليا بل تعدّى الأمر إلى الأمر باعتناق الإسلام، كما فعلت **الكاهنة** مع أبنائها، إذ حضرتها الموت. فقد أمرتهم أن يدخلوا الإسلام، ويسيروا وراء الفاتحين العظماء. فحمل المغاربة المسلمون بعد ذلك الإسلام كرسالة سماوية مقدّسة إلى غيرهم من الشعوب. فكانت قوافل التجار في صحاري إفريقيا مبلغة له ،**وطارق ابن زياد** على ضفاف المتوسّط مارًّا إلى أوربا داعية للإسلام ،ومُبشرًا به.

وتقام الشهادة التاريخية على أنّه – ولأول مرّة في تاريخ الجزائر الطويل– يرضى هذا الشعب المكافح بالوافد الإسلامي، ويعتنق دينه، ويستنّ به في مجرى حياته، ثم يحمل رسالته مبلغا لها، ومدافعًا عنها. وقد كان قبل محاربا للدّخيل، منغلقا على ثقافته. وهكذا، و منذ ذلك الحين حدّد الشعب الجزائري توجّهه، وانتماءه الحضاري. ثم مع المعايشة للفاتحين حدّد لسانه، فتمسّك بالإسلام دينًا، وبالعربية لسانًا. وقد عبّر عن هذا الامتزاج بين السكان الأصليين والفاتحين الوافدين العلامة ابن باديس أصدق تعبير حين قال: " إنّ أبناء يعرب، وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنًا، ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدّة والرّخاء،

وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحّدهم في السرّاء والضرّاء، حتى كوّنت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرًا مسلمًا جزائريا، أمّةُ الجزائر، وأبوهُ الإسلام "[1].

وعرفت الجزائر- المغرب الأوسط – بعد ذلك مختلف أطوار الحضارة الإسلامية في قوتها وضعفها. وتوالت عليها الدّويلات الإسلامية، فمن بني رستم في تيهرت أولا، إلى الزيانيين في تلمسان آخرًا، ثم كان الاستنجاد بالعثمانيين أخيرًا، لحماية السّواحل الجزائرية من الحملات الأوربية الصّليبية.

وأصبحت الجزائر مع المرحلة العثمانية، سيّدة البحر المتوسّط، وحامية المسلمين، بلا منازع، أطلق عليها اسم " **دار الجهاد** "[2] لتزعّمها حركة الجهاد في البحر الأبيض المتوسّط، والتي سُمِّيت تحريفا بعمليات القرصنة.

فلما ضعفت قوتها، وتحطم أسطولها، تكالبت عليها الدول الأوربية جميعا، انتقامًا منها ومن جهادها. ثم كانت من نصيب الاستعمار الفرنسي الذي – وإن تعدّدت تبريرات احتلاله للجزائر- جاء لرفع راية المسيحية في أرض الإسلام، كما عبّر عن ذلك الكاتب الرّوسي **إلكسي جورافسكي** قائلا: " أثناء الاحتلال الاستعماري لعدد كبير من الدول، والذي جرى بوتائر عالية في القرنين التاسع عشر والعشرين، شغل الشعار الدّيني حيّزًا مُهمًّا في الاديولوجية الغربية الاستعمارية، وهو ما حصل في احتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830 م، والذي وصفه مطران باريس في تلك الفترة بأنّه « انتصار المسيحية على الإسلام »[3].

لقد حدّد الاستعمار الفرنسي أهدافه من احتلال الجزائر بوضوح، فجعلها على النحو التالي:

أ/ <u>الجانب الثقافي</u>:

- تمسيح الجزائر من خلال القضاء على المعتقد الإسلامي.
- فرنسة الجزائر من خلال القضاء على اللسان العربي.

ب/ <u>الجانب السياسي</u>:

- تفتيت وحدة الشعب الجزائري من خلال خلق النزاعات الإقليمية والجهوية الرّافضة للانتماء الحضاري.

---

(1) جريدة الشهاب. ج2. فيفري 1936.

(2) محمد العربي الزبيري. الثورة الجزائرية في عامها الأول. مرجع سابق. ص23.

(3) إلكسي جورافسكي. الإسلام والمسيحية. ترجمة خلف محمد الجراد. سلسلة عالم المعرفة. الكويت 1996. ص76.

ج/ الجانب الاقتصادي:

- تصفية الأسس المادية التي يقوم عليها الاقتصاد الجزائري من خلال استنزاف كل الثروات الوطنية[1].

وعمل من الاحتلال وحتى اندلاع الثورة التحريرية وأثناءها على تحقيق هذه الأهداف، وفق خطة مرحلية محدّدة، كان فيها التركيز على الجانب الثقافي كبيرًا، ذلك أنّ هذا الجانب هو الأساس في تركيبة الشخصية الجزائرية، والتمكن من القضاء عليها لا يكون إلا من خلال عبور جسر الجانب الثقافي. وكان بالموازاة مع هذا في سعي حثيث لتحقيق أهدافه الأخرى في الجانبين السياسي والاقتصادي.

وأمام هذه السياسات الفرنسية الهادفة إلى القضاء على الجزائر دولة وشعبًا وانتماءً، كان موقف الجزائريين: السّعي إلى المحافظة على الذات الحضارية المتميّزة، وذلك من خلال سياسة المقاومات المختلفة، والتي انطلقت بدوافع مختلفة، أساسها الدّافع العقدي، الذي ألهب مشاعر الجزائريين، وجعلهم يقدّمون كلّ ما يملكون في سبيل المحافظة على " دار الإسلام ".

المبحث الثاني: مقاومات جهادية مسلحة:

منذ نزوله على شاطيء **سيدي فرج** لقي الاستعمار الفرنسي مقاومة شديدة، ليس من الجيش النظامي فقط، بل من عامة الشعب الذي انطلق من المساجد بعد أن جمَعَهُم **مفتي البلاد** وأقنعهم بضرورة الجهاد دفاعًا عن الوطن[2]. وكانت المقاومة تشتدّ كلما اقترب الجيش الفرنسي من المساجد والمقدّسات الإسلامية، حتى سقط فيها آلاف الشهداء، وسُمِّيت السّاحة باسمهم إلى اليوم: ساحة الشهداء.

لمّا أدرك الجيش الفرنسي أنّه لا سبيل له في دخول **العاصمة** والاستقرار فيها إلا بالقضاء على آخر جزائري، أصدر بيانه إلى سكان العاصمة محاولا إقناعهم أنّه لم يأت لمحاربتهم، ولن يعتدي على مقدّساتهم: " إنّنا نضمن لكم أيضًا، مُعطينكم وعدًا شريفا وصريحًا، لا يقبل التغيير والتفسير، بأنّ جوامعكم ومساجدكم ستكون محترمة، فهي لن تبقى مفتوحة فقط إلى العابدين كما هي الآن، ولكن ستصلح أيضًا. ونضمن بأن لا أحد منّا سيتدخل في شؤونكم

(1) أنظر: نصر الدين سعيدوني. الجزائر منطلقات وآفاق. دار الغرب الإسلامي. ط1. بيروت 2000.
(2) أنظر: أبو القاسم سعد الله. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. دار الغرب الإسلامي. ط2. بيروت 1990.

الدّينية، لأنّ هدف وجودنا في بلادكم ليس لِشَنّ الحرب عليكم، ولكن على مسئولكم: الدّاي "[1].

ولكنّه نكث عهده بمجرّد توقف المقاومة، وأخذ يعيث في العاصمة فسادًا، فحوّلَ المساجد إلى كنائس ومستشفيات، وعلق الصّليب في ثلاث مآذن، وغيَّرَ أسماء الشوارع والسّاحات والمؤسّسات، وأخذ ينشر عاداته وتقاليده. كما استولى على الخزينة العمومية، وأعلن العاصمة مدينة مُستباحة للجنود. بل توَصّل به الأمر إلى نقل عظام الموتى المسلمين إلى **مرسيليا** لاستخدامها في فحم العظام وتبييض السّكر". وقد ركز على إذلال **العاصمة** أساسًا لأنّها " كانت في نظر الفرنسيين رمزًا للقرصنة والقوة والدّين الإسلامي والجهاد... فكان الانتقام من معالم الجزائر العربية الإسلامية هو انتقام الصّليب من الهلال "[2].

ثم أخذ يتوسّع شرقا وغربًا، وفي كل خطوة يخطوها يجد المقاومة بالمرصاد.

المطلب الأول: الأمير عبد القادر: الجهاد ضدّ الكفار.

لمّا اتجه الاستعمار الفرنسي إلى الغرب، اصطدم بمقاومة الأمير عبد القادر– الرجل الصّوفي، وزعيم الطريقة القادريّة – الذي قاد الجهاد من منطلق عقدي صرف، معتبرًا إيّاه جهادًا ضدّ الكفار. لقد أخذ البيعة من الأهالي تحت شجرة " الدّردارة " تشبُّهًا بالرّسول– صلى الله عليه وسلم – في الحُديبية، ونَصَّت مواثيق البيعة على: " توحيد صف القبائل لِنُصْرَة دين الله" [3]. فلمّا تمَّ له تنظيم الجيش، سمّاه " الجيش المحمّدي "، وأعلن فيه دواعي جهاده قائلا: "إنّكم أصبحتم الآن تحت رحمة **رومي**، يُقاضيكم **رومي**، ويُدير شؤونكم **رومي**... إنّ **الرومي** قد انتهك مساجدكم... أيُّها المسلمون: إنَّ الله قد وَضَع سيفه الملتهب في يدي، وأنّنا سنَمضي جميعًا إلى الأمام، ونَرْوي حُقولَ وطننا بدماء الكفار "[4].

إنَّ لفظ " **الرّومي**" الذي أورده الأمير في خطابه هذا، فيه إشارة إلى عاصمة المسيحية **روما**، وفيه أيضًا إشارة إلى الصّبغة الدّينية التي طبعت مقاومته للاحتلال، ولقد رسَّخ هذا اللفظ – الرومي– في الضمير الجمعي للشعب الجزائري بما يحمله من دلالات الكفر والظلم والغطرسة... وبقي مركوزًا فيه من الاحتلال وإلى الآن، وكثيرًا ما استعمله بمرادف آخر له قرين، وهو لفظ " النّصارى " وكلاهما يفيد المعنى نفسه.

(1) بيان فرنسا إلى الجزائريين عشية الاحتلال. نقلا عن كتاب أبو القاسم سعد الله. تاريخ الحركة الوطنية. ج1. ص443.
(2) أبو القاسم سعد الله. تاريخ الحركة الوطنية. الجزء الأول. المؤسسة للنشر والتوزيع. ط3. الجزائر 1992. ص 60 – 78.
(3) محمد العربي الزبيري. الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر. ش للنشر والتوزيع. ط2. الجزائر دون تاريخ. ص26.
(4) المرجع نفسه والصفحة.

فلمّا أدركت قوات الاحتلال بعد سنوات من القتال الشاق ضد **الأمير عبد القادر** أنّ وسائل الحصار الاقتصادي والهجمات العسكرية المتتالية لم تفلّ عزمه، اهتدت إلى الروح التي كان بها يُجاهد هو وجُنده، فوظفتها لصالحها، وحاولت القضاء عليها. لقد أدركت أخيرًا أنّه كان يُجاهد بروح العقيدة الإسلامية التي فرضت عليه الجهاد إذا اعتدِيَ على أيّ شبر من أرض الإسلام، فعَمِلَ **بيجو ولي روش** على السَّعي لتثبيط عزيمة الجيش المحمّدي من خلال سلاح: الفتوى الشرعية. فقد قام **لي روش** بإصدار فتوى تبيح الاستسلام للكافر المُعتدي، وسعَى حتى حَصَلَ على المُصادقة عليها من طرف شيوخ الطرقية وبعض علماء الأزهر والحجاز. فكان لهذه الفتوى التأثير الكبير على الأمير وجيشه، بل كانت القاصمة التي أتت على معنويات الجيش وجهاده [1].

المطلب الثاني: مقاومات على درب الأمير:

لم تكد مقاومة الأمير عبد القادر تنطفيء، حتى تلتها مقاومات أخر، فظهرت مقاومة **لالا فاطمة نسومر** ابنة الشيخ **محمد بن عيسى** الخليفة الأول **لمحمد بن عبد الرّحمان** زعيم الطريقة الرَّحمانية. ومقاومة **المقراني والحدّاد**، شيخ الطريقة الرَّحمانية والزعيم الرّوحي لثورة **المقراني**، ومقاومة الزعاطشة... ومقاومة **بوعمامة** وغيرها، وتشترك هذه المقاومات كلها في كون دافعها الأساسي هو الجهاد ضد الكافر المُعتدي. ويشهد على ذلك أن معظم قادتها كانوا من شيوخ الطرق الصُّوفية، وأن التخطيط لها كان يتم داخل المساجد والزوايا. بل إنّ آخر ثورة شعبية مسلحة والتي كانت في الجنوب الجزائري، وخاضها " توارق الهقار " سنة 1916 كانت إسلامية خالصة، كما يصفها **يحي بوعزيز**: " وظهرت حركة إسلامية واسعة، دعت إلى الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وتضامن السكان مع هذه الحركة التي امتدَّت من طرابلس و فزان شرقا إلى موريتانيا غربًا "[2].

وهذا ما يدل على أنَّ الثورات الشعبية المسلحة كانت مشتتة جغرافيا، ولكنَّها كانت كلها تشترك في فكرة واحدة وهي الجهاد ضد الكافر، أدَاءً للواجب الإسلامي الذي فرضه على معتنقيه. وإذا كان هذا شأن المقاومات الشعبية المسلحة، فما شأن المقاومة السّياسية التي تلتها، هل واصلت على نفس المبادىء ؟ أم قامت على مبادىء أخرى ؟

---

(1) المرجع نفسه والصفحة.

(2) يحي بوعزيز. الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه. ديوان م. الجامعية. ط ؟. الجزائر 1991. ص31 .

المطلب الثالث: الوجه الإسلامي للمقاومة السّياسية:

مع مطلع القرن العشرين، ظهر نضال جديد، يعتمد الطرق السّلمية، عرف بالمقاومة السّياسية. كان هدفه: المطالبة بحقوق الشعب الجزائري المُستلبة. ومع اختلاف التيارات السّياسية الجزائرية في أهدافها ووسائلها، فإنّها تكاد تجمِعُ كلها على هدف واحد بعيد المدى تمثل أساسًا في: بعث الجزائر كدولة مُتميِّزة، بعد أن ألغاها الاستعمار الفرنسي سياسيا. وهو جاهد في وأدِهَا ثقافيا. والسِّمة البارزة في هذه المقاومة السياسية، هي كونها تعتمد بشكل جلي على العنصر الدِّيني (الإسلامي)، إذ منه استمدَّت معظم مبادئها، وعليه اعتمدت في خطاباتها، فنجد الإسلام حاضرًا وبقوة في العرائض المنشورة، والصُّحف الحزبية، والمطالب، وفي مختلف النَّشاطات. وهذا ما دفع الكاتب الفرنسي **لويس ارمون** إلى وصفها بأنّها كانت **وطنية دينية** بخلاف مثيلاتها في تونس والمغرب فقد كانتا **وطنية سياسية**. و لإن كان **أبو القاسم سعد الله** قد تحفظ على هذه التسمية لاعتقاده أنّ " للجزائر هيئات وأحزاب وطنية سياسية بشكل لا يقبل النِّقاش "، بما فيها جمعية العلماء التي قصدها **ارمون**[1]، فإنَّ ذلك لا ينفي هذه الصّبغة. إذ ممارسة الشأن السِّياسي جزء من العمل الإسلامي.

ويشهد على كونها مقاومة سياسية بصبغة وطنية دينية، موقع الدِّين الإسلامي، بعقيدته وشريعته في برامجها، ومكانة الإسلام عند قادتها، حيث ترينا الأحداث التاريخية مصداق ذلك.

أولا / الأمير خالد: المسلم المُحافظ

كان رائد المقاومة السِّياسية في الجزائر، والطموح إلى إعادة ملحمة جدِّهِ الأمير عبد القادر. حدَّد هدفه منذ البداية، أعلن أنّه ما دخل المُعترك السِّياسي ليكون وصيا على الشعب الجزائري، بل دخل من أجل " الدِّفاع بكل ما وهبني الله من القوة، وبكل ما في قلبي من الحب لحماية مصالح إخواني المسلمين، ورفع الضّرر عنهم "[2]. ولذلك رأت فيه السُّلطات الفرنسية – خاصة بعد فوزه في الانتخابات – خطرًا على أهدافها المُسَطرة، وسياستها المُتبعة في الجزائر، فوصفته – تشهيرًا به – بأنّه يُمثل: " يقظة مُفاجئة للتعصُّب الإسلامي "، وأنّه " رئيس الشيوخ ذوي العمائم " و" بطل المسلمين المُحافظين "[3].

---

(1) أبو القاسم سعد الله. تاريخ الحركة الوطنية. مرجع سابق. ج1. ص313.
(2) بسام العسلي. الأمير خالد الهاشمي الجزائري. دار النفائس. ط2. بيروت 1984. ص154.
(3) نفس المرجع والصفحة.

ولقد صدقت فيما ذهبت إليه، وإن كانت لم ترد الإقرار بفضله كمسلم، وإنما الحط من قيمته. فلقد كان فعلا يمثل إحياء للإسلام، وصوته الجهوري في وسط شعب أنهكته سياستها القمعية.

لقد كان الأمير خالد، بحق ممثلا للشعب الجزائري في تمسكه بإسلامه، وعقيدته. ويظهر ذلك جليا في موقفيه من:

- **قانون التجنيس :**

الذي حاولت فيه السلطات الاستعمارية أن تغري الجزائريين بالتنازل عن أحوالهم الشخصية مقابل الحصول على جنسيتها، فصرح قائلا: " إن المسلم الجزائري لا يقبل بديلا عن جنسيته... لسبب جوهري واحد هو: المحافظة على دينه وشريعته الإسلامية " وكانت هذه الفكرة هي تعبير عما كان يعتقده عموم الشعب الجزائري، من أن أي متجنس بالجنسية الفرنسية فهو كافر مرتد عن دينه [1].

- **الشيوعية :**

حيث رفضها من أساسها، ورأى أن الجزائري لايمكن أن يعتنق الشيوعية بسبب عقيدته الإسلامية. فقد أغناه الله تعالى بهذه العقيدة عن سواها. وسانده الشعب الجزائري في هذا وتنكر لكل الأحزاب التي تبنت الشيوعية، أو وقفت موقفا عدائيا من الدين الإسلامي.

ومن أجل مواقفه هذه، ومطالبته بحقوق الجزائريين دون استثناء، وعدم غربته عن الشعب الجزائري، لقي الأمير خالد تجاوبا شعبيا كبيرا، وحق لإبن باديس أن يصفه بأنه كان زعيما عظيما [2].

ثانيا / حزب الشعب : التمايز الحضاري :

كان أول الأحزاب الجزائرية مناداة بالاستقلال، وقصد بالاستقلال عودة الدولة الجزائرية التي غيبها الاستعمار، بكل مقوماتها الحضارية من دين ولغة وتاريخ، واعتبر هذا الهدف شيئا مقدسا، وطلب من مناضليه القسم على العمل له. فجاء في برنامجه: " من أجل خلاصنا، ومن أجل مستقبلنا، ولكي نحتل مكانا جديرا بسلالتنا في العالم، فلنقسم جميعا على القرآن وبالإسلام أن نعمل حتى النهاية لتحقيقه (البرنامج) ولانتصاره الأخير " [3].

(1) أبو القاسم سعد الله .تاريخ الحركة الوطنية .ج1 .ص176.
(2) بسام العسلي .الأمير خالد الهاشمي الجزائري. مرجع سابق. ص158.
(3)برنامج نجم شمال افريقيا سنة 1933 .نقلا عن كتاب محمد العربي الزبيري .الثورة الجزائرية في عامها الأول .ص211 .

كانت قيادة الحزب منذ ظهر تحت اسم نجم شمال إفريقيا وإلى أن أصبح حركة انتصار الحريات الديمقراطية من قبل مصالي الحاج. هذه الشخصية التي استطاعت أن تصيغ مبـــاديء الحزب وتوجهه وفق قناعاتها المستمدة أساسا من المبادئ الإسلامية. ومعرفة هـــذه الشخصـــية يتيح لنا معرفة الحزب ككل، والسر وراء التفاف الشعب الجزائري حوله.

تلقى مصالي الحاج تعاليم الطريقة الدرقاوية – فهو من شيوخ الزوايا – ثم هاجر إلـــى فرنسا، ومع العمال الجزائريين بدأ حياته السياسية، كانت العلاقة بينه وبـــين الجمـــاهير التـــي يقودها " علاقة دينية في جوهرها، وإعادة لظاهرة متأصلة تأصلا عميقا في الهياكل الجزائريـــة التقليدية، ألا وهي ظاهرة الزعيم المبارك، شيخ الطريقة، أو وجيه البلد الذي يقود أنصاره إلى المعركة "[1].

وسواء انطبق عليه هذا الوصف أو كان مبالغا فيه، فإن المؤكد أنه كان متـــدينا بالقـــدر الذي يسمح له بالنجاح في العمل السياسي حتى أنه وصف نفسه في المؤتمر الإســـلامي الـــذي انعقد عام 1936 بأنه " إسلامي صميم " وأرسل إلى المؤتمر الإسلامي نداء تاريخيا يحدد فيـــه موقفه بوضوح من المنادين بالاندماج جاء فيه: " إن الشعب الذي يطلب أن يندمج فـــي شـــعب آخر، يقطع العلاقة التي تربطه بربه، ويقطع صلته أيضا بتاريخه وأجداده وبذريته.

في حين أن لنا معاشر الجزائريين تاريخا مجيدا ولغة نبيلة وشخصية مقدسة وضـــميرا حيا، كل هذه الصفات تمنعنا أن نطلب اندماجا ينطلب منا التنكر لهذه الصفات الرائعة ".

حدد الحزب موقفه من الدين الاسلامي بشكل واضح، ومعتبرا إياه أحد مبادئه الأساســـية في نضاله السياسي. وكان حاضرا في كل برامجه وشعاراته، بل إن بطاقـــة الاشـــتراك فـــي الحزب – وهي أدنى مظهر في الحزب – كانت تنطق بشكل صريح بهذا الاعتـــزاز. إذ كتـــب فيها: " أيها الإخوة المسلمون، اشتركوا وحثوا جميعا أصدقائكم علـــى الاشـــتراك... ســـاعدوا حركتنا الوطنية معنويا وماليا لكي نحقق واجباتنا كمسلمين أصلاء. إلى الأمـــام إن الله معنـــا " وكانت تحتوي على الهلال والنجمة مع الآية الكريمة ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقـــوا ﴾ وتضم ايضا شعار " حي على الفلاح " [2].

(1) محمد حربي. الثورة الجزائرية. ت نجيب عياد وصالح المثلوثي. سلسلة صاد. ط؟. الجزائر 1994. ص127.
(2) أنظر : أبو القاسم سعد الله .تاريخ الحركة الوطنية .ج1 .ص397.

كما عمل الحزب على المناداة بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الاستعمارية، وقام بتربية مناضليه – وهم الذين فجروا الثورة التحريرية – على الاعتزاز بالقيم الحضارية الإسلامية، والنضال من أجل تحرير كامل المقدسات الإسلامية. وكانت تربية المناضل تشمل العقيدة والسياسة والأخلاق ليتمكن من القيام بأعباءه ومسؤولياته.[1] ووصل الأمر – كما يذكر محمد حربي – إلى عودة عميش – أحد مناضلي حزب الشعب – من فرنسا لمقاومة توجه الحزب الجديد القائم على التعصب الديني [2]. ويقصد بالتعصب الديني: التمسك بالإسلام والاعتزاز به. وهو الوصف الذي سنجده مستعملا من قبل السلطات الفرنسية في وصف المجاهدين الذين فجروا الثورة التحريرية.

إن توجه الحزب هذا، هو الذي جعل الجماهير الجزائرية تلتف حوله، وتسانده في مختلف مواقفه. إذ نجد أنه وفي مدينة تلمسان فقط خرج ثلاثة آلاف مناضل للمشاركة في الاحتفالات التي دعا إليها الحزب بتاريخ 14 جويلية 1937 مرددين نشيد الحزب الرسمي: فداء الجزائر. ورافعين لافتات " برلمان جزائري، احترموا الإسلام، الأرض للفلاحين، المدارس للعرب ".[3]

إن هذه الدلائل وغيرها توحي بأن الحزب كان حركة سياسية إسلامية تعمل من أجل إعادة الدولة الجزائرية بانتمائها الحضاري الاسلامي. ولعل التقاء مصالي الحاج بالزعيم السوري شكيب أرسلان في سويسرا ولعدة مرات يؤكد ما ذهب إليه مصطفى الأشرف في كونها يمثلان اتجاها قوميا موسوما بطابع ديني [4].

ثالثا / دعاة المساواة بين الانبهار بفرنسا وجواذب النشأة الإسلامية:

رأى دعاة المساواة والاندماج أن الحضارة الفرنسية هي ما يجب الأخذ به، إذا أراد الشعب الجزائري الخروج من أوضاعه المزرية. ومعنى ذلك أن يتنازل عن كل ما يميزه، ويذوب في المجتمع الفرنسي. وهذا الاعتقاد كان ناجما عن كون معظم أولئك الاندماجيين كانوا خريجي المدارس الفرنسية التي كانت تمارس (غسلا للمخ) لبعض الجزائريين الذين التحقوا بها، ولقد

(1) عبد الحكيم الشيخ الحسين .كلمة وفاء في ذكرى تأسيس حزب الشعب الجزائري. مجلة أول نوفمبر .العدد 144 .ص30.
(2) محمد حربي .الثورة الجزائرية .ص29 .
(3)عمار بوحوش ،تاريخ الجزائر السياسي . ص303.
(4) مصطفى الاشرف ،الجزائر : الامة والمجتمع .ص448.

كان فرحات عباس من أنجب هؤلاء التلاميذ، وأعلن صراحة أنه لم يجد شيئا اسمه الأمة الجزائرية بعد أن بحث عنها في كل مكان، وأنه هو وفرنسا شيء واحد " فرنسا هي أنا ". وانه لم يجد في القرآن الكريم ما يمنع الجزائري المسلم أن يكون فرنسيا. وبذل جهودا مضنية لتحقيق بعض المطالب للجزائريين، ومنها المساواة مع الفرنسيين لاعتقاده أنها هي الضمان الوحيد لمستقبل مشترك بينهما [1]. وتابعه في ذلك الدرب نخبة من المتفرنسين.

ومع هذا لم يستطع دعاة التفرنس التحرر من جواذب النشأة الإسلامية التي عايشوا فيها أوضاع الشعب الجزائري المسلم عن كثب، وخاصة بعد أن أصبحوا نخبة منعزلة تماما. فلا هي فرنسا قبلتها وأعطتها جنسيتها وضمنت لها المساواة التي تريدها. ولا الشعب الجزائري ساندها فيما تريد، ولهذا عملوا على التقرب إلى الجانبين المتناقضين، وعاشوا الانفصام في الشخصية. فقد التمسوا من فرنسا الرضا عنهم من خلال الموافقة على سياساتها وعدم المطالبة بالاستقلال، واستنزلوا رحمة الجزائريين من خلال الضرب على الوتر الحساس لديهم والمتمثل في معتقدهم فراحوا يعلنون في برامجهم أنه يجب احترام الدين الإسلامي واللغة العربية والحضارة الإسلامية. ولما أرادوا تأسيس هيئة تمثلهم أسموها اتحادية النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين فنسبوا أنفسهم إلى الإسلام، مما يبين أنهم – رغم تفرنسهم، وانبهارهم بالحضارة الغربية عموما والفرنسية خصوصا – لا زالوا على عقيدة التوحيد. وإنهم من الجزائريين دما وانتماء. بل لقد توصل الأمر بأحدهم – الصادق دندان – إلى إصدار جريدة سماها (الإسلام) ليثبت أنهم لم يتخلوا عن الإسلام[2].

ولقد عدل كثير من أعضاء النخبة توجههم الاندماجي بعد أن خابت آمالهم مع رفض السلطات الفرنسية لمطالبهم. وأعلن زعيمهم فرحات عباس دخوله إلى ثورة الشعب – أول نوفمبر 1954 – بعد أن أيقن أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وان الجمع بين المتناقضين محال.

رابعا / جمعية العلماء: الإصلاح العقدي:

ليس من قبيل الصدفة أن يوصف ابن باديس بأنه " مرشد الأمة، وإمام البلاد، وأبو النهضة ". ويلقبه مصالي الحاج بالشيخ الجليل، ذلك أنّه لا وجود لشخصية في العصر الحديث

(1) يحي بوعزيز :الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية .ص45/44.
(2) نفس المرجع والصفحة.

أثرت على كامل المجتمع الجزائري " كما فعل ابن باديس"[1] – كما يقول أبو القاسم سعد الله – فالرجل أفنى حياته في خدمة الأمة الجزائرية، ولم يبخل عليها بعلمه وماله وروحه، ومدّ يده إلى الشعب الجزائري المسلم كله مخاطبا إياه: " أيها الشعب الجزائري الكريم... يدي في يدك أيها الشعب، فقلبي قلبك وعقلي عقلك، وروحي روحك، ولساني لسانك، وماضيّ ماضيك، ومستقبلي مستقبلك، وآلامي آلامك، وآمالي آمالك، فغفر الله لي ولك، ولجميع المسلمين "[2]. وسعى في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع إخوانه الذين كانوا خيرة علماء الجزائر في تلك الفترة.

بعد الاتفاق على إخفاء البعد السياسي الثوري وراء المقاصد الدينية والثقافية تأسّست الجمعية [3]. وأصدرت قانونها الداخلي الذي تضمّن أهدافا نصّت عليها المادة الرابعة بالقول: "القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل، وكل ما يُحرِّمه صريح الشرع ويُنكره العقل، وتحجره القوانين الجاري العمل بها "[4]. ويكون تحقيق هذه الأهداف من خلال استعمال كل الوسائل الصّالحة غير المخالفة للقوانين. مثل: تأسيس المدارس الحرّة، وإقامة النوادي والشعب، وإصدار النشريات... الخ.

وبسبب ما تضمّنه القانون الداخلي للجمعية من أهداف وتصريحه بعدم التدخل في أمور السياسة. نظر الكثير إليها على أنّها جمعية ثقافية، وأنكروا دورها في التحضير للثورة، مع أنّ الثورات لا تقوم إلا على فكرة، تنشأ وتنمو من خلال انتشار الثقافة. وقد وصفها البعض بالبرجوازية الموالية للاستعمار. والحق أنّ الذين تدارسوا أهدافها بعمق أدركوا ما تصبوا إليه الجمعية وقرّروا أن عملها كان ينصبُّ على تحقيق هدفين: أحدهما قريب المدى، والآخر بعيد المدى. أمّا الأول فهو: تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب، ومحاربة جهود الطرقية المبتدعة، وإحياء اللغة العربية، ومعالم التاريخ القومي والإسلامي، وإنشاء المدارس والمساجد الحرة، وفصل الدِّين عن الحكومة... وأمَّا الهدف الثاني فهو: استرجاع استقلال الجزائر، وتكوين دولة عربية إسلامية [5].

ولقد عملت الجمعية لبلوغ غايتها، وتحقيق هدفيها على جبهات متعدِّدة :

(1) أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية. ج1. مرجع سابق. ص413/415.
(2) محمد الصالح الصديق. نقلا عن: صالح عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر.ص242.
(3) محمد الصالح رمضان. جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي. مجلة الثقافة. ع83 /1984. ص357.
(4) القانون الداخلي للجمعية. نقلا عن: محمد العربي الزبيري. الثورة الجزائرية في عامها الأول. ص214.
(5) عبد الكريم بوصفصاف. جمعية ع.م.ج ودورها في تطور الحركة الوطنية. دار البعث. ط1. قسنطينة 1981. ص108.

– جبهة الاستعمار: من خلال كشف مكائده، ومحاربة سياساته الهادفة إلى القضاء على الشخصية الوطنية.

– جبهة الطرقية: التي صادرت الفكر والإرادة، وشوّهت العقيدة والعبادة، وخذلت السَّواعد على القيام بأدنى مجهود لرفع الظلم والتسلط. وهذه أخطر جبهة تصدَّت لها الجمعية لأنَّها ضربت المجتمع الجزائري في الصَّميم إذ مسَّت ضرباتها العقيدة التي يلتجيء إليها الجزائري لاستمداد روح الفعالية والمقاومة والتي لعبت الدور الأول في حماية مقوماتنا وشخصيتنا الوطنية، وأمَدَّت أجيالا متعاقبة بالنفس الطويل والمقاومة المتواصلة والقدرة على مواجهة أكبر محنة تعرَّضت لها البلاد، فكانت عقيدة ذات تقاليد كفاحية، حوَّلتها إلى طقوس جامدة تقدِّس الولي والقبر، وأوقفت بفتواها حركة الجهاد ضد الاستعمار عندما اعتبرته قضاءً وقدرًا، فجاء على لسانهم : " إذا كنا أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك، وهو على كل شيء قدير، فإذا أراد الله أن يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل، وكان ذلك عليه أمرًا يسيرًا... ولكنه – كما ترون – يمدّهم بالقوة، وهي مظهر قدرته الإلهية، فلنحمد الله ولنخضع لإرادته "[1].

– جبهة الشعب الجزائري: وذلك بالسّعي لإخراجه من حالة الجهل إلى العلم، ومن الاستكانة إلى الثورة.

وبذلت في سبيل مواجهة كل ذلك الركام جهودًا مضنية نوجزها في:

* عمل ابن باديس – قبل تأسيس الجمعية – منذ عودته إلى الجزائر في ميدان التدريس، وعلى مدار عشر سنوات وهو يُكوّن الكتائب الأولى التي سيتخرج منها معظم قادة الثورة. لقد علمهم " اللغة العربية وآدابها، والتفسير والحديث والأصول ومباديء التاريخ ومباديء الجغرافيا ومباديء الحساب... وحبَّبَ إليهم فَهْمَ القرآن والتفكر، والنظر في الفروع الفقهية، ومطالعة كتب الأقدمين، ومؤلفات المعاصرين [2]. فكانوا ثمرة أصيلة تعتز بالشعار الذي رفعه ابن باديس: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا. فأنشأ بذلك قاعدة الثورة التحريرية، فأطفال هذه الفترة الذين درسوا في مدارس الجمعية هم رجال الثورة سنة 1954. وتشير إحصائيات سنة 1951 إلى أنّ مدارس الجمعية بلغت مائة وخمسون مدرسة، يدرس فيها أكثر من خمسين ألف تلميذ منهم خمسة آلاف تلميذة [3].

(1) محمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس. الزعيم الروحي لحرب التحرير. دار المعارف. ط؟. مصر 1968. ص94.
(2) جريدة السنة: تاريخ 1933/04/24.
(3) صالح عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر. الزيتونة للنشر والتوزيع. ط؟. الجزائر 1989. ص258.

* إصدار الصحف والمجلات، وذلك لتنوير الرأي العام بالأوضاع الحقيقية، وتحديد المطالب الأساسية للشعب الجزائري. والرد على كل الدَّعاوى الفرنسية أو الموالين لها من المتفرنسيين والطرقيين. فبداية من مجلة المنتقد التي صدرت سنة 1925 تواصلت الصحف تباعًا فظهرت: السُّنة والشريعة والصراط والبصائر والشهاب. وانبرى للكتابة فيها خيرة أبناء الجزائر ورُوّاد الإصلاح فيها.

* تأسيس المساجد الحرة لتعليم الكبار أمور دينهم، والتي كانت ملتقى الثوار قبل اندلاع الثورة، وأثناء التحضير لها. إذ يذكر مثلا أنَّه " عقد اجتماعًا ضمَّ خمسمائة مجاهد في مسجد **أشمرة** وذلك بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف في شتاء 1951 حيث حضر الاجتماع **رابح بيطاط** و**لخضر بن طوبال** و**مصطفى بن بولعيد** وغيرهم "[1]. والمدارس الحرة لتربية أبناء الجزائر على قيم الدِّين الإسلامي الحنيف والوطنية الصَّادقة. والنوادي لتوعية العمال والشباب، والكشافة الإسلامية الجزائرية لتعويد الشباب على روح الانضباط والنظام. وسَعَت لإنشاء كلية للشريعة لمن يرغب في التخصُّص في العلوم الإسلامية وأرسلت وُفودَ الطلبة إلى المشرق لإكمال دراستهم.

* إصدار الفتاوى الشرعية – بوصفها المرجعية في ذلك – وتبيان رأي الإسلام في كل القضايا المُستجدة، والمتعلقة خاصة بوضع الجزائر، وذلك بهدف نزع الغطاء الإسلامي على الطرقية المبتدعة، وتصحيح صورة العقيدة الإسلامية التي شوِّهت بفعل تراكم الفكر الخرافي. الذي شجعت تواجده السياسة الاستعمارية، وباركته الطرقية خدمة لمصالحها. وكانت أهم تلك الفتاوى تأثيرًا في المجتمع الجزائري:

1– تكفير كل جزائري يتنازل عن قانون الأحوال الشخصية باختياره ويختار الجنسية الفرنسية. وهذا ما جعل الجزائريين يُعرضون عن هذا الفعل حتى وصفهم أحد الفرنسيين المختصين في شؤون الجزائر بقوله:" قد يكون أمرًا غير مثير للدهشة والاستغراب ألا يرضى أكثر من سبعة آلاف جزائري لأنفسهم الجنسية الفرنسية حتى عام 1944 م – قانون التجنيس كان سنة 1919 م– مع أنَّ عدد الجزائريين يزيد على تسعة ملايين "[2].

(1) بسام العسلي ومحمد طلاس. الثورة الجزائرية. مرجع سابق. ص113.
(2) المرجع نفسه. ص145.

- تحريم الزواج بالفرنسيات حتى لا يتنصّر الأبناء، من خلال تحصلهم على جنسية أمهاتهم.
- تحريم قبول التجنيد في القوات الفرنسية في حربها ضد الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية.

ولقد أتت هذه الجهود ثمارها، وحدث زخم شعبي ناقم على الاستعمار والموالين له. أوصل إلى حالة الاحتقان الذي يسبق الانفجار، خاصة بعد أحداث الثامن ماي سنة 1945 والتي خرجت فيها الجماهير من المساجد تطالب بالاستقلال والحرية [1]. وشجع على ظهور تقارب كبير بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب الجزائري ،ويظهر ذلك حتى في أناشيدهما، قال مفدي زكريا – عضو في حزب الشعب – واصفا مبادىء حزبه، قائلا:

إن شعبًا عن العروبة والإسـ ـلام قد شبّ لا يطيق فصالا
إن كربًا مُضمّخا بدماء من جدود لا يستطيع اعتزالا
إن جنسًا مقدَّسًا عربيًّا ليس يرضى أن يستحيل خيالا
حاولوا هضمه قديمًا فخابوا واستعدُّوا له قرونًا طوالا
إن جنس النبي صعب على الهـ ـضم، فيا غرب كف عنك المحالا

وقال ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
مَنْ قال حَادَ عن أصله أو قال مَاتَ فقد كذب
أو رَامَ ادماجًا له رَامَ المُحَالَ من الطلب

كما اشتدَّ خطابهما وبدأ يُعلن المُفاصلة التامة، ويرفض المُهادنة، وأخذ شبابا تربوا على يد ابن باديس أو في مدارس حزب الشعب في التحضير للجهاد مُحققين بذلك أمنيته التي أعلنها قبل وفاته سنة 1940 " والله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة يوافقونني على إعلان الثورة لأعلنتها[2]. ومُردّدين معه ردّه الحاسم على وزير الحربية الفرنسي عندما هدَّده بمَدافع فرنسا. قائلا: " توجد لدينا مَدافع أطول... إنَّها مَدافِع الله "[3]. وكان هذا الموقف وغيره هو الذي ولد مشاعر الجهاد والثورة، وبقيت مكبوتة إلى يوم كان مُقدَّرًا عبَّر عنه ابن باديس:

---

(1) Radouane Ained Tabet. Le 8 Mai 1945 En Algerie office des publ universitaires. Alger 1985.
(2) عمار طالبي. ابن باديس: حياته وآثاره. دار اليقظة العربية. ط 19.بيروت 1970. ص89.
(3) محمد الصالح الصديق. نقلا عن: صالح عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر. ص244.

" اليوم... وقد آيسنا من غيرنا يجب أن نثق بأنفسنا،

اليوم... وقد تجوهلت قيمتنا يجب أن نعرف قيمتنا،

اليوم... وقد خرست الأفواه عن إجابة مطالبنا، يجب أن نقول نحن كلمتنا،

اليوم... وقد اتحد ماضي الاستعمار وحاضره، يجب علينا أن تتحد صفوفنا "[1].

فكان ذلك اليوم، بداية الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 م، والذي بَاركه **البشير الابراهيمي والفضيل الورتلاني** من القاهرة في بيانهم إلى الشعب الجزائري: ﴿ وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله، والله مع الصّابرين ﴾ .... سيروا على بركة الله بعونه وتوفيقه إلى ميدان الجهاد المُقدّس، فهو السَّبيل الواحد إلى إحدى الحسنيين: إمَّا موت وراءه الجنة، وإمَّا حياة وراءها العزة والكرامة "[2].

وهكذا كان ابن باديس زعيمًا روحيا للثورة رغم غيابه الشخصي، إذ نابت عن حضوره الجسدي أفكاره وتلاميذه الذين ربَّاهم على حب الجهاد، وكان أولى بالوصف الذي خصَّ به محمد الغزالي الشيخ البشير الابراهيمي عندما قدم لآثاره قائلا: " مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء، إن الخطيب أو الكاتب يوم يستمد توجيهاته من قلبه، ويَصبُّها في نفوس تلاميذه إنَّما يُكوِّن فيالق من أولى الفداء، ويصنع قذائف حية من رجال ينسفون الباطل نسفا "[3]، فكان نسف الاستعمار على يد تلاميذ الجمعية وحزب الشعب.

---

(1) جريدة الشهاب. ج7. سبتمبر 1937.

(2) أحمد توفيق المدني. حياة كفاح. ج3. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ط؟. الجزائر 1982. ص26.

(3) أحمد طالب الابراهيمي. آثار الإمام البشير الابراهيمي. دار الغرب الإسلامي. ط1. بيروت 1997. ص11.

الفصل الثالث:

تجليات البعد العقدي في الثورة الجزائرية

تمهيد.

المبحث الأول: البعد العقدي في سير المجاهدين.

المبحث الثاني: الدافع العقدي في اندلاع الثورة.

المبحث الثالث: البعد العقدي في لغة المجاهدين.

المبحث الرابع: البعد العقدي في أخلاق المجاهدين.

*المطلب الأول: التوكل.

*المطلب الثاني: التضحية.

المبحث الخامس: البعد العقدي في ميدان أول نوفمبر

*المطلب الأول: مبدأ الرحمة.

***المطلب الثاني:** مبدأ العمل يحسم الجدل.

***المطلب الثالث:** مبدأ التمايز.

***المطلب الرابع:** القيادة الراشدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

انتهينا في الفصل السابق إلى أنّ الشعب الجزائري بقي متمسّكا بعقيدته الإسلامية رغم كل السياسات الفرنسية المحاولة لطمسها، وإحلال المسيحية أو شعوذات الطرقين مكانها. ورأينا كيف أدرك المستعمر أنّه لاشيء أشدّ تأثيرًا في نفوس الجزائريين من عقيدتهم الإسلامية، لذلك عمل بكل ما يملك من أجل القضاء على كل الجهود التي تريد إحياءها، وخاصة جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كانت تهدف إلى تطهير العقيدة ممّا علق بها من شوائب البدع، وبعث العقيدة الإسلامية الصحيحة، المُحرِّكة للهمم، الدَّافعة إلى العمل والتحرر. وكذا جهود حزب الشعب الرَّامية إلى الاستقلال من خلال إيجاد المُواطن الجزائري المعتز بلغته ودينه ووطنه، والمستعد للتضحية بكل ما يملك من أجل تحقيق العودة إلى حضيرة الانتماء الإسلامي.

وسنحاول في هذا الفصل تجلية البعد العقدي في الثورة التحريرية، من حيث كون العقيدة الإسلامية أحد البواعث الأساسية لتفجير الثورة، وأحد أبعاد (الظاهرة / الثورة) في سيرة المجاهدين قادة وجنودًا، وفي لغتهم وأخلاقهم ومواثيقهم الضابطة لشؤونهم الداخلية. ثم نُعرِّج بعد ذلك على المواثيق الكبرى للثورة التحريرية، مُركزين على: بيان أول نوفمبر إذ هو الوثيقة الوحيدة التي تمثل بحق **المشروع الحضاري** للثورة قبل أن يطرأ عليها أي تحريف أو تبديل بفعل عوامل عدَّة، المُؤرِّخ أولى بالحديث عنها.

المبحث الأول: البعد العقدي في سير المجاهدين والقادة:

تصفح سجل الملتحقين بالثورة في بدايتها قادة أو جنودًا، يؤكد قضية أساسية مفادها: أنّ شرف الجهاد لم ينله إلا من كان له اعتقاد مطلق في أنّه ذاهب ليقتل في سبيل الله وتحرير الوطن، وعليه أن يلتزم أخلاق الجهاد من الانضباط والطاعة والثبات حتى تحقيق ذلك الهدف. ثم ليس له بعد ذلك من أجر إلا ما أعدَّ الله له في الآخرة. فإن هو رضي بهذا عاهد الله والقادة على ذلك. وإن هو أبى فله مع المتخلفين متسع. ويشهد لهذا :

أولا: الشروط الموضوعة للانضمام إلى المنظمة الخاصة – وهي المسؤول المباشر عن تفجير الثورة – إذ نقرأ فيها ما يلي:

" المادة الأولى: الانضباط ... يتحتم على كل قائد أن يحظى بالطاعة المطلقة للمقودين وبانقيادهم لأوامره في جميع الأوقات. ويجب أن تنفذ الأوامر بحذافيرها دون تردد أو مهمهة...

المادة الثانية: التجنيد: ...

- يجب على العنصر المُجنَّد أن تتوفر فيه الشروط التالية: الإيمان ،الكتمان ،الشجاعة، الحيوية ،الثبات ،سلامة الجسم.
- مدة الخدمة غير محدودة.
- يجب على العنصر المُجنَّد أن ينجح في الامتحان وأن يؤدّي اليمين ...

المادة الرابعة: السُّلوك.

- يجب على كل مناضل أو قائد أن يتحلى سلوك مثالي من جميع وُجهات النظر ...."[1].

هذه الشروط لا يمكن أن يلتزم بها إلا من كان راسخ القدم في تكوينه العقدي ،إذ شرط (الطاعة) مثلا هو أصعب الأمور تقبلا عند الفرد الجزائري ،لما ركب في طبعه من التمرد وعدم الانضباط والاعتداد بالنفس. ولو أنّه لم يغرس فيه أن طاعة القائد هي طاعة لله – عز وجل – وسبيل إلى الفوز برضاه وجنته حين الاستشهاد ،لما أطاع أمرًا ،ولما انضبط في شأن. فكيف به يتقبل أوامر القادة ويُطيع ،ويُجاهد لأجل غير محدود ،ويلتزم سلوكا مثاليا ،ويثبت حتى الموت ،ويُقسم ويُعاهد على ذلك ؟ وهو يعلم أنّه ليس ثمة أجر مادي. أيمكن أن نفسر ذلك بشيء غير صدق المعتقد في الله واليوم الآخر؟.

(1) النظام الداخلي للمنظمة الخاصة. نقلا عن: محمد العربي الزبيري. الثورة الجزائرية في عامها الأول. ص 248/247.

ثانيا: الشروط التي يجب أن تتوفر في المُجاهد الذي سيلتحق بالثورة كما يرويها الحاج لخضر – قائد الناحية العسكرية الأولى ،ومُشارك في تنظيم الأفواج الأولى التي فجَّرت الثورة – إذ يقول أنَّ المُجاهد يسأل أسئلة مُحددة ،فإن هو قبل بها دون قيد أو شرط ثم قام بعملية فدائية تثبت صدق ذلك ،سمح له بالانخراط في صفوف المُجاهدين. هذه الأسئلة هي كما يلي:

- " هل تعلم أنَّك ستلتحق بالثورة لتستشهد في سبيل الوطن والدين واللغة.
- أنَّك ستموت بين عشية وضحاها.
- إن كنت مُتزوِّجًا ولك أولاد فإنَّك لن تراهم أبدًا.
- إن لم تكن مُتزوِّجًا فإنَّك لن تتزوَّج حتى الاستقلال إن بقيت على قيد الحياة.
- انّك لا تتقاضى أي مُرتب ،ولا نضمن لك حياة غذائية مُنظمة ،فأنت معنا. ما تيسَّر لنا فهو بيننا بالتساوي لا فرق بين الجندي والضابط في اللباس والأكل والعلاج.
- تطبق الأوامر دون نقاش وتطيع المسؤول في كل الأعمال.
- لك الحق في الشهادة وحدها.
- لا عدو لك فوق أرض الجزائر إلا الجندي الفرنسي أو الذي يُسانده.
- تلتزم بالصلاة في وقتها وتجعل في تصورك قوة الله فوق كل القوى، وهو معنا حيث أمرنا أن نكون ونبتعد حيث نهانا ألا نكون"[1].

هذه الشروط حَدَّدَت بشكل واضح نوع الرجال الذين سيُوكل إليهم أمر الجهاد. فهم رجال عقيدة صادقة يُضَحُّون بأموالهم وأنفسهم وكل رغباتهم من أجل نيل حق واحد هو: الشهادة في سبيل الله ،ملتزمين في سيرهم وجهادهم ما أمر به مشرع الجهاد من اعتقاد: أنَّ قوة الله – عز وجلَّ – فوق كل القوى ،وأنَّ عدوَّهم واحد هو: مَنْ سلَبَ دينهم ولغتهم وأرضهم. وأنَّ طريق النصر قائم على إتباع أوامر الله ،والقيام بفرائضه واجتناب نواهيه.

ولئن كانت هذه الشروط قد وُضعت لكل الرَّاغبين في الانخراط ،من عموم الشعب الجزائري. فإنَّ واضع الشروط – وهم القادة – هو أحرى الناس بالالتزام بها والزيادة عليها. إذ هو القدوة في كل شيء. وفعلا ،كان قادة الثورة كذلك ،فقد كانوا " فئة قليلة مؤمنة بربِّها وبحق

(1) الطاهرحليس. قبسات من ثورة نوفمبر كما عايشها العقيد الحاج لخضر. دار الشهاب. ط؟. الجزائر دون تاريخ. ص84.

شعبها ووطنها في الحياة الكريمة ،فئة مهّدوا بتضحياتهم ومعاناتهم وإصرارهم وصبرهم لهذا اليوم الخالد الذي انطلق فيه الكفاح المسلح"[1].

لقد تعلم قادة الثورة في الكتاتيب ،ومعظمهم تخرّج من مدرسة الكشافة الإسلامية الجزائرية التي كان يُشرف عليها علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وبعضهم درس في المدارس الفرنسية بعد أن أتمّ حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب ،ولذلك كانوا كلهم مُتديِّنين وإنْ لم يكونوا رجال دين، ولم يعرف عن أحدهم أنّه من أصحاب المذهب المادي أو الشيوعي[2]. وهذا ما جعلهم يشتركون في المنطلقات ،إذ هم يشكلون جيلا " لم تختلط عليه المنابع: قوانينه من تاريخ الأمة الجهادي ،وقوة ثورته مستمدة من وعي الأمة وإرادتها"[3]. ويكفي تدليلا على ذلك أن نشير إلى سير بعضهم إجمالا:

- مصطفى بن بولعيد:

كان أبوه حافظا للقرآن الكريم ،ومن إخوان الطريقة الرحمانية ،وهو الذي أشرف على تحفيظه القرآن الكريم. كان يتردد على الشيخ **الخدير** يعلمه سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين. وقد عرف في منطقته منذ الصغر باستقامة الخلق وارتياد المساجد. أسّس جمعية دينية وبنى مسجدًا ومدرسة. وكانت له اتصالات متعددة مع الشيخ **البشير الإبراهيمي** بغرض فتح مدرسة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمنطقة (آريس). وتولى هو رئاستها عند تأسيسها سنة 1944. كما انخرط أيضا في (نادي آريس) الذي أسّسه **عمر دردور** تلميذ **ابن باديس**.

يعتبر أب الثورة الجزائرية تنظيرًا وتحضيرًا. إذ هو المشرف الأول على الأفواج التي انطلقت ليلة الفاتح من نوفمبر ،وهو الذي رهن جزءًا من أملاكه للثورة ،وتكفل بمصاريف اجتماع لجنة 22، وسعى لشراء السّلاح ونقله وتخزينه. ودخل في اتصالات مكثفة مع القادة الآخرين متنقلا لمسافات بعيدة متحملا لجميع المشاق. وهو الذي أصرّ على أن يُضاف إلى بيان أول نوفمبر عند حديثه عن الدولة الجزائرية المستقلة جملة: في إطار المبادىء الإسلامية رغم اعتراض **محمد بوضياف** بحجة فتح باب الثورة للجميع. وصف بأنّه:" ذو خبرة في الأساليب

(1) عبد الحكيم بن الشيخ الحسين. أحداث صنعت التاريخ. مجلة أول نوفمبر. العدد 147. ص15.
(2) أحمد بن نعمان. الجهاد وثورة الاستقلال. مرجع سابق. ص58.
(3) صالح عوض. معركة الإسلام والصليبية في الجزائر. مرجع سابق. ص266.

السياسية ،وذو سلوك نموذجي في فن القيادة ،وينصف بالرَّزانة ،واسع الصَّدر ، بشوشا ،قوي الحجة والإقناع ،كما يتحلى بالكرم والسَّخاء ،جريئا في اتخاذ المواقف الصَّعبة ، وصادقا في القول والاعتزاز بالنفس ،والثقة التامة في أتباعه ... ومما زادهم تقديرًا له المحافظة على الروح الدينية ،والعمل الدَّؤوب في سبيل القضية الوطنية والثورة التحريرية ، وتأثرهم بسلوكاته الحميدة [1]. لما قبض عليه، وبدأ التحقيق معه نقل عنه قوله:" إنَّني لا أطلب شيئا لنفسي ،فإنَّ حياتي لا تساوي شيئا. إنَّني مستعد لإمضاء وثيقة أعترف فيها بقبول الإعدام بالرصاص إذا كان موتي سينُقذ الجزائر"[2]. ولكنه لم يُعدم ،وأدخل السِّجن فكان لإخوانه السُّجناء مُرْشدًا وإمامًا. إذ كان يجمعهم ليشرح لهم تاريخ الفتوحات الإسلامية ،وأهداف ودور الثورة ،ويرفع معنوياتهم ، ويُصلي بهم. حتى جاءتهم فكرة الفرار من السِّجن. فبدأوا العمل مُقسِّمين أنفسهم إلى طائفتين: الأولى تقوم بعملية الحفر ،والأخرى تقرأ القرآن جهرًا حتى لا يُسمع صوت الحفر. حتى إذا تمَّ لهم ما أرادوا صلى بهم ركعتين شكرًا لله ،ثم بدأوا الخروج تباعًا[3]. وواصل جهاده بعد ذلك حتى سقط شهيدًا.

هذا نموذج أول من القادة نشأ على العقيدة الإسلامية الصَّحيحة ،وقد غرست فيه منذ صباه. وعاش لها حتى سقط شهيدًا. كان له من المال ما يكفيه ليعيش حياة هادئة مطمئنة. ولم يعرف عنه أنَّه عانى من عقدة التطرف أو حب المغامرة كما يدَّعي خصومه. بل تواترت الروايات على استقامة خلقه ورجاحة عقله واتزان نفسه. والصِّفات المُستمدَّة من عقيدته هي التي أهلته لقيادة إخوانه المُجاهدين. أعلن الجهاد ضد المُستعمر ،ورضي أن يُعدم إذا كان في إعدامه استقلال الجزائر. وهو يعني بالاستقلال عودة الجزائر عربية مُسلمة كما كانت ،وهذا المعنى يُفهم من إصراره على أن يكتب في بيان أول نوفمبر: الدولة الجزائرية في إطار المبادىء الإسلامية. فليس لأحد بعد هذا أن يُنكر دور العقيدة الإسلامية في دفع القادة إلى الثورة والتضحية بما يملكون.

---

(1)مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية. إصدار جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس. مطبعة الهدى. الجزائر 1999. ص676.

(2) المرجع نفسه. ص671.

(3) انظر: محمد زروال. الحياة الروحية في الثورة الجزائرية. إصدارات المتحف الوطني للمجاهد. ط؟ ص 199 إلى 212.

- العربي بن مهيدي:

شدَّ الرِّحال منذ صغره لتلقي دروس **ابن باديس** في قسنطينة. كان عاملا في مدينة بسكرة ومُتأثرًا بأفكار **مبارك الميلي** أحد علماء جمعية العلماء. وَصَفَهُ والده بقوله:" النَّاسك ، الزاهد،القارىء للقرآن ،قائم الليل كأنَّه أحد أهل التصوّف"[1].

كان عضوًا في المنظمة الخاصة ،وشارك في مختلف التحضيرات للثورة وعندما اندلعت كان في الثلاثين من عمره. وكان يؤمن بأنَّ قوة الثورة مُستمدَّة من قوة الشعب الجزائري المسلم لذلك أثر عنه قوله: ساعدوني على إنزال الثورة إلى الشارع وأنا أضمن لها النجاح. فهو لا يريد أن تستأثر بالجهاد طائفة معينة ،بل يدعو إلى النفير العام ،وثورة الكل ضد المستعمر.

ترقى إلى رتبة عقيد سنة 1956 ومع ذلك ظلَّ جنديًّا بسيطا في معاملاته. إذ نشأته الدينية ،وعقيدته السَّمحة تفرض عليه أن يظل كذلك. يصفه أحد رفقائه دون مبالغة ،ومع ذلك تجد الشبه الكبير بينه وبين الصَّالحين من خيرة المسلمين. يقول:" هذا الرجل – يقصد **العربي بن مهيدي**– الذي جمع بين صفات الحكيم وميزات القائد. كان متوسط القامة ،هادىء الطبع ، يهمس حين يتكلم ،له بريق تشعه عيناه فيمتنع الناظر عن التحديق فيه ،في وجهه بقايا طفولة تستأنس بها فيُخيَّلُ إليك أنَّك تعرفه منذ الأبد ،بسيط في سلوكه وهندانه ،يضع برنسه فوق زيّه العسكري ،ويحمل مسدَّسه لا غير..."[2]. ألقيَ عليه القبض ،وتفنَّن زبانية السجن في تعذيبه ، ولكنهم وجدوا نوعًا من الرجال لم يُصادفوه من قبل ،إذ لم يحصلوا على أي سر منه رغم ما فعلوا به. وتحوَّل مُعذبوه إلى أول المعجبين به ،بل تمنوا أن يكون لهم مثله ليفتحوا بهم العالم. كان يمكن أن يبوح بكل الأسرار ،ويضمن حياة رغيدة ويتحصل على ما يريد. ولكنه آثر العذاب الدنيوي لينال الجزاء الأخروي. وكان له ما أراد. كان– وهو في قمة التألم– يعتقد أن النصر للثورة وللجزائر، إذ نقل عنه قوله:" إنَّكم تتحدَّثون عن فرنسا من **دانكارك** إلى **تمنراست**، وإنِّي لأنبئكم بميلاد الجزائر من **تمنراست** إلى **دانكارك**"[3]. وهذا الأمل الكبير ناتج عن إدراكه أنَّه يمثل حلقة من حلقات الجهاد التي يخوضها الشعب الجزائري.

(1) صالح عوض. معركة الإسلام والصليبية في الجزائر. مرجع سابق. ص 266.
(2) لخضر بورقعة. شاهد على اغتيال الثورة. دار الحكمة. ط1. الجزائر1990. ص31.
(3) محمد العربي الزبيري. الثورة الجزائرية في عامها الأول. مرجع سابق. ص 122.

- زيغود يوسف:

كان يقضي ساعات ليله مهمومًا وإذا سألته أمه عن ذلك يُجيبها بأنَّ كلمات **ابن باديس** لم تترك له وقتا للراحة.

- عميروش:

إمام المسجد ومُعلم القرآن.

هؤلاء القادة وغيرهم كثير هم الذين حملوا عبء التخطيط للجهاد ،وهم الذين تمثلوا العقيدة الإسلامية في حياتهم سلوكا قبل أن يلزموا بها جنودهم أوامرًا. فكانت حياتهم صورة صادقة للمجاهد الذي خرج في سبيل الله ،إن كان في المقدمة فهو فيها ،وإن كان في المؤخرة فهو فيها أيضا ،لا تنقص المكانة من نيته شيئا ،بل يكفيه أنَّه مجاهد.

المبحث الثاني: الدافع العقدي في اندلاع الثورة:

انطلقت المقاومات الشعبية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي بدافع عقدي محض ،إذ رأينا أنَّ مختلف تلك المقاومات رفعت راية الجهاد في سبيل الله دفاعًا عن الوطن ،وردًّا لعدوان الكفار على أرض الإسلام. وكذلك شأن المقاومة السياسية ،إذ كانت ذات صبغة إسلامية في جل مطالبها ونشاطاتها ،وقليل من شذ عن هذه الصَّبغة.

ولما كانت الثورة التحريرية هي ثمرة هذا الجهاد الطويل. أفتأخذ مجرى آخر مخالفا لما كان سابقا ؟ أيمكن أن تصطبغ بصبغة غير الإسلام ؟ كل الدلائل تفيد العكس. بل حتى فرنسا شهدت لها بالصبغة الإسلامية ،وحذرت من نجاح هذه الثورة خوفا من أن تقيم دولة للإسلام في الجزائر. أنظر إلى تصريح – رئيس الحكومة الفرنسية – **غي موليه** في صحيفة **لومند** بتاريخ الثالث من شهر جوان عام 1956 قائلا:" أنَّ الجزائر لن تكون دولة إسلامية ،بسبب وجود المليون أوربي مسيحي فيها. كما لن تكون دولة عربية بسبب وجود البربر فيها " [1]. وانظر أيضا كيف وصفتها يوم انطلاقها بأنَّها انطلقت بدافع التعصب الديني الذي زرعه العلماء المسلمون في الأهالي [2]. أليست هذه الشهادة من فرنسا كافية للتدليل على الدافع العقدي للثورة التحريرية ؟ ولماذا يتنكر البعض لهذه الحقيقة ؟ ويحاول أن يجد للثورة تفسيرًا آخر بعيدًا عن كل ما يَمُتّ إلى الإسلام بصلة ؟.

---

(1) نقلا عن: بسام العسلي. الثورة الجزائرية. ص 290.

(2) بوعمران الشيخ. جان سارفييه وثورة أول نوفمبر. مجلة الأصالة. عدد 22/ 1974. ص 81.

إنَّ علماء النفس يثبتون أنَّ لكل فعل إنساني مجموعة من الدوافع تسبقه ،وأنَّ هذه الدوافع تتكامل فيما بينها ،ولا يلغي أحدهما الآخر. بل كل ما في الأمر ،أنَّه يمكن أن يكون أحد الدوافع أشد تأثيرًا من الآخرين ،وكذلك شأن الثورة الجزائرية ،إنَّها ثورة قامت بفعل دوافع عدة ، تكاملت فيما بينها فأنتجتها. فكيف نلغي عاملا مثل عامل الاعتقاد وننسبها للعوامل الأخرى ؟.

إنَّ المُسلم به عند كل الذين كتبوا عن الثورة الجزائرية أنَّها انطلقت عندما وصلت الظروف الاجتماعية إلى وضعية لا تطاق ،الحرمان التام ،سوء التغذية المستديمة ،انحطاط في المستوى الثقافي ،أمية وأمراض متفشية ،قهر سياسي شديد ... وهذه الحالة صاحبت الجزائريين منذ الاحتلال حتى اندلاع الثورة التحريرية ،وهي سياسة فرنسية أوجدتها ،وأبقتها مستمرة بهدف القضاء على الشخصية الوطنية ماديا ،بعد أن استعصى عليها ذلك معنويا. فكيف ثار في الفاتح من نوفمبر ،وبذلك الشكل ،ولم يثر قبله ،والوضعية في كلا الحالتين سواء ؟ إنَّ هذا ما يدفع إلى التأكيد على أنَّ هذه العوامل (المادية – المعيشية) لوحدها ما كانت لتفجر الثورة التحريرية. ولو كانت هي الدافع الرئيسي لوضع المجاهدين السلاح ،ودخلوا في سلم الشجعان **الديغولي** وعاشوا في رغد الحياة بعد أن جاءهم بمشروع قسنطينة عام 1959 م.

إنَّ هناك روحًا سرى في جسد الشعب المنهك الهامد ،فأوجد فيه جذوة الثورة ،ثم أشعلها لتخرج إلى العلن ،وتتجسد في أفعال ،هدفها الأول والأخير هو طلب الشهادة في سبيل الله. فما كان المجاهد يقاتل لمصلحة شخصية آجلة أو عاجلة ،وأنَّى لأصحاب المصالح الشخصية أن يُقاتلوا وهم يعلمون أنَّ الموت لهم بالمرصاد.

إنَّ العقيدة الإسلامية لوحدها ،والإيمان المطلق بمبادئها ،هي الكفيلة بأن تدفع الجزائري إلى طلب الشهادة. خاصة وأنَّ الجزائري لم يكن يفصل بين الجهاد في سبيل الله ،والجهاد في سبيل تحرير الوطن. " فالجهاد في كلا الحالتين كان ... لا يتجزأ ما دام يقوم على تكامل عقائدي. حيث أنَّ الثورة قامت لتحرير الوطن من جحافل الكفر ،والهيمنة الاستعمارية في آن واحد " [1]. ثم كان اليقين بدخول الجنة التي وعدها الله تعالى لعباده الذين يُقاتلون في سبيله ، غاية استرخست في سبيلها الأرواح. وكان الإيمان بقضاء الله ،والأجل المُقدَّر ،دافعًا آخر للمجاهد في أن يُبادر. يقول – أحمد بن نعمان – " إنَّ المجاهد اعتقد بأنَّ الموت بيد الخالق الذي

(1) أحسن بومالي. استراتيجية الثورة الجزائرية. ص 59.

قطع على نفسه بأن لا يُغيِّر بقوْم حتى يُبادروا بتغيير ما بأنفسهم ،وأن لا ينصرهم حتى يُؤمنوا وينصروه ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم:46]. و﴿ إن تنصروا الله ينصركم﴾ [محمد08] (1).

المبحث الثالث: البعد العقدي في لغة المجاهدين:

ما من شك في أن اللغة هي المعبر عن فكر الشعوب، وهي من أهم وسائل تحديد الانتماء الحضاري لأي فئة أو أمة. إذ ترتبط اللغة عادة بالدين، وهذا ما يظهر جليا في اللغة العربية والدين الاسلامي. واللغة بالاضافة الى ذلك تمثل وسيلة اتصال بين افراد المجتمع الواحد، وهي تحمل في طياتها عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم.

وبالنظر الى اللغة المتداولة اثناء الثورة التحريرية، وخاصة المصطلحات المستعملة في التخاطب بين المجاهدين، والتي اقتضتها طبيعة المرحلة (الثورة)، ندرك – بما لا يدع مجالا للشك – منطلق الثورة وتوجهها، فالمنطلق كان الجهاد في سبيل الله لتحرير الوطن، والتوجه كان عربيا اسلاميا. وخاصة اذا علمنا ان تلك المصطلحات كان لها تاثيرا كبيرا في نفوس الجزائريين، وتحمل من القدسية ما يجعلها بمنأى على ان تطلق الا على من يستحقها فعلا.

فلقد كان لفظ (الشهيد) مثلا، له من الوقع في نفوس الجزائريين بحيث يستعصي على الوصف حالهم، اذ بمجرد ان يسقط المجاهد (شهيدا) حتى تتعالى التكبيرات المتتالية المملوءة بالاكبار و الاجلال للحظوة التي نالها، وتتعالى الزغاريد من النساء، يقول عبد المالك مرتاض : " فلم يكن النساء الجزائريات يبكين في الغالب شهداءهن، وانما كن يزغردن في جنازتهم ،أو لدى وقوعهم ضحايا استبشارا بالجنة وسعادة بالشهادة التي كرموا بها في الدفاع عن الوطن والشعب "(2). وفي هذا المشهد ابعاد عقدية كثيرة :

- فلفظ (الشهيد) – وهو لفظ اسلامي خالص ،له معنى محدد في الدين الاسلامي – كان معناه واضحا جدا لدى الجزائريين عموما ،انه يعني لديهم – كما يعني في الشرع – من قاتل دون ماله أرضه او عرضه، فهو شهيد ،ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ،فهو شهيد. وفي خروج المجاهد الجزائري مجاهدا دون أرضه وعرضه المغتصبين، ودينه

(1)احمد بن نعمان :الجهاد وثورة الاستقلال .مرجع سابق. ص40.
(2)عبد المالك مرتاض. المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة التحريرية. مرجع سابق.ص72

المنكس الراية ،سعي الى استعادة الارض ، وصون العرض ، واعلاء لكلمة الله. فهو لابد مستحق للفظ (الشهيد)، اذا سقط مضرجا بدمائه.

- وفي اكبار الجزائريين (للشهيد) وزغردة النساء عليه، بيان لمكانة الشهيد عندهم. واستبشارا بانتقاله الى الجنة، ان الشهيد عندهم هو من نال رضوان الله تعالى، فرزقه الشهادة في سبيله، وضمن له دخول الجنة حيا فيها ابدا، ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا، بل احياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [آل عمران 170]. فهم يعتقدون اعتقادا راسخا، مستمدا من الخلفية العقدية لديهم ان هناك (دارا آخرة) ينتقل اليها الشهيد، ويرزق فيها اعلى الدرجات. وذلك التزموا بكل ما يمليه الشرع في التعامل مع الشهيد.
- وفي زغردة النساء بدل العويل والنحيب. وتكبير الرجال بدل السخط والتذمر، واقرار بتسليم الامر لله .فهو الذي قدر لمن سقط شهيدا في تلك اللحظة ان يسقط ، وما كان ان يستقدم اجله أو يستاخر : ﴿ فإذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [الأعراف32]. فتحل علامات الرضا، وراحة البال، وطمأنينة النفس، في كون المقدر – سبحانه – لم يرد بالشهداء إلا خيرا، فاختارهم إلى جواره، واسكنهم جنته.

فإذا كان هذا مدلول لفظ (الشهيد)، وبعض معانيه العقدية التي كانت تختلج في نفوس الشعب الجزائري .فدعنا نبدأ في تتبع بعض مصطلحات الثورة وأبعادها العقدية، بداية من التحضيرات وحتى وقف إطلاق النار.

لقد كان انطلاق الثورة الجزائرية مسبوقا بتحضيرات مكثفة قامت بها (المنظمة الخاصة)، هذه المنظمة كانت تسمى بين أعضائها بـ(البركة)، وقد أطلق عليها هذا الاسم في مؤتمر حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي انعقد في افريل عام 1953 [1]. وفي لفظ (البركة) نقرأ معاني ودلالات كثيرة:

يشير لفظ (البركة) – وهو لفظ يستعمل كثيرا في العامية الجزائرية – إلى الإنسان

(1)عبد الحميد مهري.أحداث مهدت لفاتح نوفمبر 1954. مجلة الأصالة عدد 22 / 1974.ص15.

الصالح التقي، المتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، والذي لا يكن لأحد حقدا أو بغضا ولو كان من أعدائه. وقد يكون هذا الإنسان من أولياء الله الصالحين، فيأتيه الناس طلبا للاستشارة في القضايا الهامة ،اطمئنانا إليه، وثقة به .وقد يشير اللفظ أيضا إلى الشيء القابل للزيادة والنماء، لا بفعل الإنسان، وإنما ببركة من الله سبحانه وتعالى. فالله هو الذي (بارك فيه). فيقال مثلا على السنة الممطرة بأنها (عام بركة) بمعنى أن الله تعالى قد منّ فيها على عباده بالأرزاق وكثرة الخيرات.

وفي كلا المعنيين انطباق على أعضاء (المنظمة الخاصة). فاللفظ اذن لم يكن أمرا عفويا نطقت به شفاه احد المؤسسين، بل كان أمرا مقصودا، وتسمية تحمل دلالات عميقة. إنها تشير بصريح اللفظ إلى أن الأمر الذي تأسست من اجله يباركه الله تعالى، وهو الشاهد عليه. ولا يبارك الله تعالى أمرا إلا إذا كان موافقا لشرعه، وفي سبيل إعلاء كلمته فهو الجهاد في سبيله إذن. ثم إن (المنظمة الخاصة) كانت مباركة فعلا بأعضائها، حيث أنها ضمت خيرة الشباب في تلك الفترة في تكوينهم العقدي والسياسي. ثم زادها الله تعالى مباركة فأنجزت أعظم ثورة في العالم العربي، وفي إفريقيا كلها.

فالاعتقاد الراسخ لدى أعضاء (المنظمة الخاصة)، بل ولدى الشعب الجزائري عموما – والمستمد من عقيدته الإسلامية – إن الله تعالى. هو الذي يوفق في كل الأمور، حتى وإن بَدَت في البداية أنّها مستحيلة التحقيق. وهو الذي يُبارك فيها فتتحوّل من أمر حقير أو مُستصغر إلى أمر جليل. فهو الذي – بعد بذل الوسع من الأعضاء المؤسسين – أخرج التحضيرات الأولى للثورة من نظرة الناس إليها بعين الريبة والاستصغار، ووصفها بأنّها طريق إلى الانتحار، إلى عمل عظيم يسعى الكل إلى الالتحاق به. وكذلك الشأن في الأرزاق يجود بالرزق على من يشاء، ويُضاعف فيه لمن يشاء.

ثم كان انطلاق الثورة تحت وقع النداء الخالد:(الله أكبر). هذا النداء هو الفيصل بين الطائفتين، وعنوان التمايز بين حضارتين، به بدأ الإسلام في مكة، وبه خاض المسلمون معاركهم. كان هذا النداء يُمثل فاتحة عهد جديد بالنسبة للشعب الجزائري. به أقرّ لله تعالى بأنّه لا كبير إلا هو، وأنّه لا قوة تستطيع أن تقف أمامه ما دام قد رجع إليه في هذا الأمر مُتوكلا عليه، طالبًا منه وحده العون. كانت (الله أكبر) عند المجاهدين تعني الكثير: " الله أكبر عندنا تعني: أنّنا في موقف القوة والاعتزاز بأنفسنا وذوينا، الله أكبر عندنا تعني: الدرع الواقي الذي

يحمينا من المدافع والقذائف ما دُمنا على حق، والاعتصام بالله العلي القدير، الله أكبر عندنا تعني: البداية والنهاية، بداية الجهاد، ونهاية الخروج من عالم الدنيا إلى الآخرة، الله أكبر عندنا: كلمة عزيز، بها نضمن الحياة، وبها نُقبلُ على الموت، وهي غذائنا وشرابنا، هي درعنا تحت أشعة الشمس، وهي جلبابنا في الظلام الدامس، بها نقي أنفسنا من العدو حتى لا يرانا نهارًا، وبها نشق شعاب وفجاج الجبال ليلا..."[1].

فانظر إلى هذه المعاني كلها، تجد عقيدة إسلامية راسخة في النفوس، نطقت بها الأفعال قبل الألسنة: إيمان مطلق بقوة الله عز وجل، فمنه تستمد القوة، وبه يكون الاعتزاز، وعليه التوكل في البداية، واليه العودة في النهاية. ثم يمتد المعنى إلى أكثر من ذلك حين يستشعرون الرقابة (المعية) الإلهية وهي معهم في أشعة الشمس، وظلام الليل، وفي الشعاب والجبال. فكان المجاهدون بحق من الذين حوّلوا العقيدة من نظريات مقدسة، إلى عمل يومي معيش. وليس ذلك تظاهرا وإبرازا لهويتهم فقط كما يقول ميلود سفاري حين يصفهم " لقد كان اغلبية الجزائريين يجتهدون في إبراز تمسكهم بدينهم في ممارساتهم اليومية خلال سنوات الثورة، حيث يحاولون إثبات هويتهم العربية الإسلامية من خلال إحياء المواسم والأعياد الدينية، وأحاطتها بهالة من الإجلال والتقدير"[2]. بل الأمر تعبير عن عقيدة راسخة في القلوب تتجسد في الأفعال – حتى وان كان تقليدا – أوجدتها جهود عظيمة سابقة.

فإذا كانت بداية المعارك بـ (الله اكبر)، ونهايتها بـ(الله اكبر) على كل شهيد سقط، فان كلمة التعارف (كلمة السر) بين المجاهدين من البداية إلى النهاية مستمدة من التاريخ الإسلامي المجيد، وتعود بالذاكرة الجماعية إلى عهد الإسلام الأول حيث نجد الكلمات عادة مربوطة بذكرى إسلامية عظيمة، أو باسم صحابي جليل، لقد كانت كلمات السر يوم اندلاع الثورة التحريرية هي: خالد، عمر، حمزة، المغيرة...، وهي أسماء لصحابة الرسول – صلى الله عليه وسلم – [3] وهذه الأسماء تحدد – كما يقول: يوسف يعلاوي – " طابع الثورة "، فطابعها كان طابعا إسلاميا خالصا. ويضيف في ذكر كلمات السر المتداولة بين الثوار فيذكر:"الإسلام،

(1) الطاهر حليس، قبسات من ثورة نوفمبر كما عايشها الحاج لخضر. مرجع سابق. ص 100/99.
(2) ميلود سفاري .الصراع بين الدين والاديولوجيا في الجزائر غداة الاستقلال.مجلة العلوم الإنسانية.جامعة قسنطينة بتاريخ: 01 جوان 1990. ص80.
(3) الطاهر حليس .قبسات من ثورة نوفمبر .ص62 .

الوطن، الثورة، العلم، العمل، الحق، العدل، الله أكبر، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، النظام والعمل، خالد، عقبة، الجهاد..." [1]

فالمتتبع لهذه الكلمات كلها يدرك أنها تخرج من مشكاة واحدة، وانه ليس هناك عفوية في إطلاق هذه الكلمات دون غيرها. إذ لم يوجد من بينها ما يمكن أن نرجعه إلى أي حضارة غير الحضارة الإسلامية. وهذا تعبير عن اعتزاز الشعب الجزائري بعقيدته الإسلامية، والتمسك بها حتى في مظاهرها الخارجية (الأسماء).

إذ العقيدة الإسلامية تغرس في إتباعها التمايز عن الآخرين في كل شيء، في السلوك واللغة وفي المظهر الخارجي. وهذا ما حدث أثناء الثورة. حتى قال عنها عمار بوحوش واصفا خصائصها:" إنها ثورة ذات عقيدة إسلامية، فدخول الإسلام إلى الجزائر كان عامل وحدة، وجلب عقيدة ساهمت في توحيد السلوك والاتجاهات، ولغة وحدت التفكير والشعور... فالإسلام كان يُشعل الثورة... فإنّه لولا الدعوة إلى الإسلام والالتفاف حول هذه العقيدة، وتعاليمه القيمة التي تدعو إلى مقاومة الاستعمار باسم الإيمان والجهاد في سبيل الله والوطن، لكان في الإمكان ذوبان السكان المحليين المتخلفين في مجتمع الأوربيين المتقدمين "[2]. فكانت العقيدة الإسلامية إذن، واللغة العربية مظهرًا تمايز حضاري بين أمتين: بين أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمة النّصارى أو (الروم) كما كانوا يُسمُّون إبَّان الثورة.[3]

وخذ غير هذه العينات من المصطلحات تجد الكثير غيرها فهناك: المُجاهد، الجهاد، الأخوة (الخاوة)، المسبل، الفدائي، الكتيبة... كلها تشهد بالانتماء العقدي دون مواربة، بل لقد شاعت مصطلحات قرآنية من مثل (أصحاب اليمين) الواردة في قوله تعالى:﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ [الواقعة29] وكان يُطلقه المُجاهدون على إخوان لهم عزلا، لا سلاح لهم، يُلقون بأنفسهم في المعارك بحثا عن سلاح العدو أو الاستشهاد دونه. ولما كانوا أقرب بموقفهم هذا إلى الشهادة منه إلى الحياة أطلقوا عليهم ذلك الاسم إيمانا منهم بأن لهم الجنة إن هم استشهدوا.[4] فهذا الموقف فيه تجلي للإيمان المطلق بالله والثقة به. إذ هو الباعث على خوض المعارك دون سلاح، إنَّه نوع من التوكل لا يقدر عليه إلا المجاهدون الربانيون.

(1)يوسف يعلاوي. الجانب الروحي لثورة الفاتح نوفمبر .مجلة الاصالة . عدد 74/22 .ص88.
(2) عمار بوحوش. تاريخ الجزائر السياسي. مرجع سابق. ص560.
(3) محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض. مرجع سابق. ص81.
(4) أحمد بن نعمان. الجهاد وثورة الاستقلال. مرجع سابق. ص160.

لذا حسب الكثير هذا الموقف انتحارا، أو رميا بالنفس إلى التهلكة. وماهو كذلك، إنه أشبه بمواقف كثير من الصحابة في معاركهم ضد جحافل الكفر.

فإذا استبان أن مصطلحات الثورة كانت إسلامية انتماء، وإنها كانت تعبيرا عن عقيدة راسخة في النفوس، تؤكدها اللغة المتداولة. فإن نظرة على بعض الأحداث العملية أثناء الثورة تزيد ذلك توضيحا، وتؤكد ارتباط القول بالعمل.

المبحث الرابع: 4/-البعد العقدي في أخلاق المجاهدين:

الخلق في اللغة هو الطبع والسجية. وفي الاصطلاح: "هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال "، وكل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا وفقها لا محالة. ويعني ذلك أن الأخلاق ما هي إلا تجسيد لمعتقدات الإنسان. فمنظومة المعتقدات التي يحملها الإنسان، وعلى ضوئها يقبّح أو يحسّن، هي التي تجعله يتميز بأخلاق معينة تشكل جزءا من هويته الخاصة. فالمسلم ترجع جملة أخلاقه الى معتقداته، فهي المصدر الذي منه يستمدها. وعلى ضوء ذلك تكون العقيدة الإسلامية هي مصدر أخلاق الإنسان المسلم، وعلى هذا دلّ الحديث الشريف، إذ جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله: ما الدين ؟ فقال: حسن الخلق.[1] أي أن الدين – معتقدا – لا يقوم إلا بوجود السلوك المجسد له، وهو حسن الخلق.

وأخلاق المجاهدين أثناء الثورة التحريرية لا يمكن أن تخرج عن مصدرها الطبيعي، والمتمثل في العقيدة الإسلامية التي نشأ عليها بالفطرة أو التقليد أو الاكتساب. فمهما كانت وضعية الجزائري في تلك الفترة، ومهما كان مستواه الثقافي فهو يعتقد في الإسلام دينا. إذ عليه نشأ وتربى، رغم محاولات الاستعمار المستمرة لإبعاده عن ذلك المصدر. ويتجلى هذا المصدر فيما اتصف به المجاهدون من أخلاق إسلامية صميمة، إذ كانوا يجاهدون بأخلاقهم أكثر من أسلحتهم.

فانظر – أولا – كيف أنهم جعلوا الأخلاق الإسلامية مقياسا لقبول المجاهد في صفوف الثورة، فجاء في شروط الانضمام إلى جيش التحرير الوطني ما يلي:

– "ماض وطني مشرف معروف بعدائه للمستعمر، والذي يعني، العداء لما يمثله من قيم وأخلاق كالظلم والتعسف والتسلط وغيرها. فيكون المجاهد – إذن – من كان يمثل حقيقة أخلاق

(1)أخرجه محمد بن نصر المروزي من رواية أبي العلاء بن الشقير مرسلا.

الإسلام التي تعبر عن معتقد كل جزائري.

- التحلي بروح الانضباط والطاعة تجاه تعليمات القيادة "، وأنّى للجزائري أن ينضبط أو أن يُطيع لو لم يكن يُدرك أنّ ما تقوم به القيادة هو في سبيل الله والوطن، وليس جريًا وراء مغنم شخصي ؟.

" وبهذه الطريقة – الاختيار وفق الشروط – تكوّنت الأفواج الأولى، واختيرت عناصرها بدقة وعناية من بين آلاف المناضلين... وقد بلغ عددهم ثلاثة آلاف مُجاهد، فجّروا الشرارة الأولى..."[1]

إنّ هذه الشروط التي وُضعت للاختيار تستثني – لا محالة – كل دخيل الخلق من الجزائريين الذين لم تسموا أرواحهم بعد إلى (أخلاق الجهاد)، وتستثني أيضا أذناب الاستعمار، المتهالكون على لغته وعاداته ومعتقداته. ثم تقرّب وتضم إلى الصفوف من كان (حسن الخلق) صافي العقيدة. إذ الجهاد – هنا – بالقوة المعنوية (عقائدي) لا المادية.

ولقد زادت (المبادىء العشرة).[2] لجيش التحرير تحديدًا للمجاهدين، حين ميّزتهم بشعار يُبيّن وُجهتهم: الهلال والنجمة الخماسية. وما يرمزان إليه من (الإسلام بأركانه الخمسة). وجاءت موادها لتبيّن – أيضا – ما يجب التحلي به من أخلاق:

المادة الثامنة: " تقوية روح الأخوة والتضحية والعمل في نفوس المجاهدين...

المادة العاشرة: مراعاة المبادىء الإسلامية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدو...

والجهاد في الإسلام لا يكون إلا بروح الأخوة الذي يجب أن يسود، فلا فرق بين قيادي وجندي، فالكل سواء. وأما التفاضل فيكون بمقدار التضحية. وهذا ما أرادت المادة الثامنة ترسيخه. وأما المادة العاشرة فهي وإن أشارت إلى مراعاة القوانين الدولية في تحطيم قوات العدو، فإنّ المُجاهد البسيط ما كان يعرف هذه القوانين، وإنّما كان يعرف مبادىء الإسلام التي تربّى عليها، وتعامل وفقها أثناء جهاده. وصور ذلك التعامل مشرقه. إذ يذكر **محمد لبجاوي** في تعامل المجاهدين مع الأسرى – مثلا – أنّ المجاهد الجزائري كان يسير حافي القدمين، ويُقدّم نعله للأسير الفرنسي، وأنّ المجاهدين حاولوا بقدر الإمكان أن يرجعوا إلى أوربا أبناء الأوربيين المُجنّدين بالقوة في الجيش الفرنسي[3]، ويُفسّر **عمار قليل** هذا التعامل قائلا:" كان

(1) علي زغدود. شروط الانضمام إلى جيش ت.و. مجلة أول نوفمبر. ع1983/61. ص87.

(2) المبادىء العشرة لجيش التحرير.

(3) محمد لبجاوي: القانون والثورة. نقلا عن: بسام العسلي ومحمد طلاس: الثورة الجزائرية. ص290.

احترام الأسرى الفرنسيين عند وقوعهم في الأسر يُعتبر فرضًا وواجبًا على المُجاهدين تفرضه عليهم عقيدتهم السَّمحاء. وكم كانت دهشة هؤلاء الأسرى كبيرة عندما كانوا يجدون هذه المعاملة الإنسانية من الثوار الذين صوَّرتهم لهم حكومتهم كمجرمين وقتلة وسفاكين للدماء "[1]

ولم يُعرف عن المجاهدين أنَّهم مثلوا بالجثث أو بقروا بطون النساء الحوامل، أو أهلكوا الصبية والشيوخ. كما كانت تفعل جيوش الاحتلال. بل كان منهم الالتزام الصَّارم بما أمر به دينهم كما جاء في الحديث ﴿ كتب **عمر بن عبد العزيز** إلى **الجراح**: أنَّه بلغني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا بعث جيشا أو سرية. قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله. تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأة أو وليدًا أو شيخًا كبيرًا﴾[2]، واحترام وتطبيق لما نادى به النظام الداخلي لجيش التحرير. إذ نصَّ على أن " كل مجاهد مسؤول عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، سيرة المجاهد الحسنة المُتصفة بالأخلاق الإسلامية ترفع من سمعة الجيش وترغب في حب الثورة ". فلم تكن الأخلاق الإسلامية إذن تعبير عن الاعتقاد فقط، بل إنَّها تمتد إلى السمو بالجيش إلى (النموذج المُقتدى) في أخلاقه، وتستثير عواطف المحبة، والرغبة في الالتحاق بصفوف المُجاهدين، ولعل التركيز على الالتزام بأخلاق الإسلام يُشير من جانب خفي إلى المأثور عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته من كونه يتحرّون (الخلو من الإثم) عند كل مُجاهد قبل الإقدام على المعركة، إذ الإثم من أسباب الانهزام وما تصرف **مصطفى بن بولعيد** عند خروجه من السِّجن، ومحاورته للشيوعيين ومحاولة إقناعهم بالتخلي عن أفكارهم، ثم لما رفضوا ساعدهم عن الخروج من وسط الثوار إلا تعبير عن براءة الثورة من تحمل مسؤولية هؤلاء[3].

وانظر – ثانيًا – من أين استمدَّت الثورة معظم مُجاهديها ؟ إنَّ معظم المُجاهدين كانوا من أهل الرِّيف، ولقد " كان التركيز على سكان الرِّيف لما عرفوا به من صفاء عقيدتهم وبُعدهم عن بهرج الحضارة كما... عُرفوا بالتمسُّك بالوطنية الخالصة والجهاد الدَّائم "[4]، وليس ذلك شأن ثورة التحرير وحدها فقط، بل إنَّ معظم الثورات المُسلحة في الجزائر من الاحتلال وحتى سنة 1954 كانت تثار من طرف عناصر ريفية. وذلك أنَّ الرِّيف الجزائري كان التعليم فيه

(1) عمار قليل. ملحمة الجزائر الجديدة. ج3. دار البعث. ط؟. قسنطينة 1991. ص69.
(2) ظافر القاسمي: الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام. دار العلم للملايين. ط1. بيروت 1982. ص316.
(3)مصطفى بن بوالعيد والثورة الجزائرية. مرجع سابق. ص 747.
(4)طاهر حليس. قبسات من ثورة نوفمبر. مرجع سابق. ص 30.

مرتبطا بالطابع الدِّيني في الزوايا والكتاتيب، ورفض رفضًا مُطلقا تعلم اللغة الفرنسية لاعتقاد أهله أنَّها لغة الكفار، ولهذا بقي على صفاء العقيدة[1].

فلما انطلقت الثورة الجزائرية، وانخرط فيها معظم الشعب، نقلت المجتمع من مستوى أخلاقي كانت تشوبه بعض الضلالات، إلى مجتمع آخر أكثر تساميًا في أخلاقه وتصوراته. وسقط الفكر الخرافي والبدعي، وكاد يزول. إذ مثلت الثورة نقلة من البطالة والتشرد والفراغ إلى العمل الدائم المتواصل. وأنتجت (مجاهدًا) أشبه بالصحابي في أخلاقه، بل كان الشعب ينظر إليه على أنَّه ملاك مُنزه أو صحابي مقرَّب كما يقول أحمد بن نعمان. ولعل الذي نال لقب (المجاهد) أثناء الثورة التحريرية كان يُدرك في قرارة نفسه تمام الإدراك أنَّ التنازل عن الوطن ليس خيانة له أو للشعب فقط، بل هو ذنب عظيم لا يغفره الله تعالى. فكان لا يفصل بين الجهاد في سبيل الله، والجهاد لتحرير الوطن. إذ تحرير الوطن وسيلة لإقامة الدولة الجزائرية ضمن إطار المبادىء الإسلامية، حيث يكون ثم العبادة لله في ظل الحرية والكرامة.

وعلى هذا الأساس – الجهاد لتحرير الوطن هو جهاد في سبيل الله – كانت أخلاق المُجاهد لا تخرج عما حدَّده الإسلام لأتباعه من أخلاقه، واجب التحلي بها. ولعل أهم تلك الأخلاق تجلت في خلقي: التوكل والتضحية.

المطلب الأول/ التوكل:

لقد سعى الاستعمار منذ نزوله أرض الجزائر إلى تشجيع الفكر الخرافي المُنتشر عند بعض الطرقية، والذي ثبَّط روح المقاومة لدى الجزائريين بما كان يُصدره من فتاوى ضالة. إذ كان ينظر إلى الاستعمار على أنَّه قضاء الله وقدره. وما على الشعب إلا الرضى بهذا القضاء. وأنَّ الثورة على الاستعمار هي سخط على قضاء الله وقدره. فلما اندلعت الثورة التحريرية ذهبت هذه (الخرافة) جفاءً. فكان الفاتح من نوفمبر إيذانًا بانتصار الاعتقاد الصحيح على الفكر الخرافي.

أدرك المجاهدون الذين فجَّروا الثورة أنَّ التوكل على الله معناه استفراغ الوسع، وبذل أقصى الجهد، وتوفير مختلف الأسباب. حتى إذا تمَّ لهم ما في طاقتهم، تركوا الأمر لله تعالى يصرفه كيف يشاء. ولأجل ذلك عملوا – تحضيرًا للثورة – على مختلف الأصعدة: لقد حاولوا

(1)محمد ابراهيم الميلي .البعد الريفي في الثورة الجزائرية. مجلة الاصالة. عدد 22 / 1974 .ص 50.

إقناع أولئك الذين يعتقدون أنَّ الثورة هي إلقاء للنفس إلى التهلكة، وبحث عن مجزرة شبيهة بمجزرة الثامن من ماي 1945، أو هي عملية انتحارية لا يقوم بها إلا مُجازف بحياته، وحق لصاحب الإيمان الضعيف، والناسي لقوة الله أن يعتقد ذلك:

أليست الإمكانيات التي انطلقت بها الثورة – مقارنة بإمكانيات العدو – صفر، بل إنَّها لا تكفي للإغارة على قبيلة من القبائل، فكيف بها تتطاول على الحلف الأطلسي ؟ أليس العدو جاثم على صدر الشعب منذ قرن وربع القرن ؟ هذا الشعب الذي يُعاني الفقر والجوع والمجاعات ؟.

أليس المجاهدون طائفة قليلة مُحاصرة، لا تأمن على نفسها ؟ فكيف لها أن تفكر هذا التفكير ؟.

إنَّ المقاييس المادية في أمر تفجير الثورة يُمكن أن توضع جانبًا هنا. إذ لو أخذ بها لبقيت(الجزائر فرنسية) وإلى الأبد. إنَّ الجانب العقدي هو الحاسم. لقد آمن المجاهدون بأن:

- النصر مُؤكد متى لجؤوا إلى الله تعالى يستمدون منه القوة: فالنصر هو نصر لشرع الله وإقامة لدولة يحتكم فيها إليه. وقد وعدهم سبحانه وتعالى أنَّه:﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد08] ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم46] ﴿ وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذي من قبلهم﴾ [النور53]. يقول **الحاج لخضر**: كلما قارنا كثرتهم وقوة سلاحهم مع كفرهم وظلمهم، وقارنا ذلك بقلتنا مع إيماننا وعدلنا تأكدنا بأنَّ النصر سيكون حليفنا[1].
- إنَّ الفئة القليلة يُمكن لها أن تنتصر على الفئة الكبيرة، متى تمسَّكت بجنب الله، وكانت في قمة التجرد والإخلاص، إذ الواحد فيها يعدل العشرة. ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ [البقرة247] ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ [الأنفال65].

إنَّ الشهادة في سبيل الله شرف عظيم يهبه الله تعالى لعباده المؤمنين، فهي نصر على

(1)طاهر حليس.قبسات من ثورة نوفمبر. مرجع سابق. ص 79.

شهوات النفس، ونصر بالفوز بالجنة ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة﴾ [التوبة112]. وأنّها – أي الشهادة – أو الاستقلال كلاهما نصر، فالمجاهد يتقلب إذن بين نصرين: الشهادة أو الاستقلال.

وكان هذا الاعتقاد الإسلامي هو الذي دفعهم إلى المطالبة بتفجير الثورة، وفي أقرب وقت ممكن، حتى وإن لم يكتمل التنظيم لها كما يذكر **ابن طوبال**[1]. فلقد تدخل سويداني بوجمعة بعيون دامعة – في الاجتماع الفاصل – وحسم تردد إخوانه قائلا :" نعم أولا ؟ هل نحن ثوار؟ إذن: ماذا ننتظر للقيام بهذه الثورة، إن كنا صادقين مع أنفسنا"[2]. فالصدق مع النفس، والصدق مع الله هو الذي حرّك تلك الفئة القليلة في ذلك اليوم المشهود. لقد أخذوا العهد على أنفسهم، واقسموا على المصحف الشريف ألا يتراجعوا حتى النصر أو الشهادة. وكان آخر ما سمعوه بعد صلاة العشاء توجيها من مصطفى بن بولعيد يدعوهم فيه إلى التوكل على الله، والجهاد في سبيله حتى تعود الجزائر إلى حضيرة الحضارة العربية الإسلامية[3].

كان كل مجاهد – وهو منطلق إلى ساحات الجهاد – يدرك أن التقصير في جنب الله معناه الإخلال بالتوكل عليه، وتعطيلا للنصر، طالما انه مشروط – حسب الآية – بنصر الله. ونصره تعالى يكون بإقامة ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه. ولأجل هذا كانت حياة المجاهدين صورة صادقة لأثر العقيدة الإسلامية في حياة المجاهد، إذ كانت:

- الاجتماعات التي تعقد تبتدئ باسم الله، وتختتم – عادة – بالدعاء والتضرّع إليه طلبا للنصر أو الشهادة، والتثبيت على طريق الجهاد.[4]
- المحافظة على فرائض الإسلام وأركانه من صلاة وصيام، حتى في أحلك الظروف.

وندع المجاهد محمد زروال يحدثنا عن بعض المواقف عند بعض المجاهدين:

* في معتقل الجرف سنة 1956 " قرّرنا أن نؤدي صلاة هذا اليوم في جماعة، إلا أن تنظيم مثل ذلك التجمع العام كان مما لا يسمح به النظام الداخلي للمعتقل ويمنعه بقوة، لكننا عزمنا على مخالفة هذا النظام وتحديه مهما عرّضنا ذلك لعقوبات أشد قساوة...وأخيرا تجمعنا في

(1) M. harbi, le F.L.N. mirage et réalité les éditions G.A 1985. p 122.
(2) محمد بوضياف. تحضير فاتح نوفمبر 1954 .مجلة اول نوفمبر .ع 147 /ص 23.
(3) الطاهر حليس: قبسات من ثورة نوفمبر. مرجع سابق. ص61 .
(4) نبيل احمد بلاسي: الاتجاه الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط1القاهرة1990.ص 165.

ساحة كبيرة وكنا سبعمائة مصلّ، وانتضمنا في صفوف متراصة لأداء الصلاة... ما كدت أكبر في الركعة الأولى حتى أظلتنا دورية عسكرية يتقدمها كلبان مروّضان.. كان نباح الكلبين وفرقعة البندقيات يملأن علينا الدنيا صخبا، إلا أن ذبذبة تلك الأصوات المعربدة كانت تتلاشى صاغرة أمام الآيات البينات...[1].

- في سجن الكدية بقسنطينة كان الحفر متواصلا – حفر النفق للهرب عبره – وترفع الأصوات لتلاوة القرآن حتى لا يسمع صوت الحفر، فلما أرادوا أن يخرجوا فرارًا أمَّهم مصطفى بن بولعيد في صلاة المغرب، وزادوا عليها ركعتين تقرُّبًا إلى الله تعالى، ثم بدأوا الخروج.[2]
- أثناء المعارك. " كان يلقون العدو وهم صائمون – يقصد المجاهدون – رغم أنَّ القيادة أصدرت أوامرًا بالإفطار، اعتقادًا منهم أنَّ ذلك أفضل الأحوال الشرعية التي يكون عليها المؤمن المجاهد بنفسه، فقد كان المجاهدون يُفضلون الصوم على الإفطار لأنَّهم يُؤمنون بهذه الخيرية التي أشار إليها الله تعالى في كتابه الكريم﴿ وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾[3] [البقرة183].

– التطبيق الصارم لحدود الله، فكم من شاب مجاهد طلب أن يكون هو المُنفذ لحد الله في والده الخائن للثورة. وكم من مُلتحق بالجهاد دون استئذان الوالدين إيمانًا منه بأنَّ الجهاد فرض عين على كل مُستطيع إذا دخل العدو أرض الإسلام. وكم من مجاهد نهى أهل القرى عن الذهاب إلى الأضرحة والتبرُّك بها، وقال لهم: " إنَّ التبرُّك الحقيقي إنَّما بالثورة والجهاد الذي فرضه الله على كل مسلم"[4].

– الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية في مختلف القضايا المتنازع حولها، ولذلك أوجدت الثورة مصلحة القضاء – في مؤتمر الصومام – حيث " مثلث محكمة ثورية إسلامية، تعالج كل القضايا، وتنفذها بسهولة لإجماع الشعب على ضرورتها، واقتناعه بعدلها "[5]

(1) محمد زروال: الحياة الروحية في الثورة التحريرية. ص97.
(2) مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية. مرجع سابق. ص791.
(3) محمد زروال: الحياة الروحية في الثورة التحريرية. مرجع سابق. ص112.
(4) لخضر بورقعة: شاهد على اغتيال الثورة. مرجع سابق. ص198.
(5) الثورة أحداث وتأملات. الملتقى الوطني الثاني للثورة. دار الشهاب 1994. ص164 / 165.

وقد كان التحري على أشده في اختيار القاضي العادل. إذ كان يختار من الضباط العارفين بأحكام الشريعة الإسلامية، ومن ذوي الأخلاق الحميدة، والذين اشتغلوا قبل التحاقهم بجيش التحرير الوطني بالتعليم العام أو الديني، والإفتاء والصلح بين الناس، وتتمثل مهمته – بالإضافة إلى الفصل في القضايا – في تعليم القرآن الكريم و مبادىء اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

4- ب/ التضحية:

خلق سام تحلّى به المجاهدون أثناء الثورة التحريرية، وضربوا به أروع الأمثلة في صدق العقيدة الكامنة في قلوبهم. لقد جسّدوا عقيدتهم الإسلامية بكل معانيها، وما تتطلبه حياة الجهاد من بذل النفس والمال والوقت والجهد... وما كانوا ينتظرون من وراء ذلك إلا الجنة أو الاستقلال، الشهادة أو النصر.

أي تفسير يُمكن أن يُقدم لتلك التضحيات الجسام:

- أكانوا يُريدون المناصب والأموال ؟ وقد كان بإمكانهم الحصول على ذلك بمجرد الإعلان عن ولائهم للاستعمار، والسير في ركابه ؟
- أم كانوا يُريدون الشهرة ؟ وأي شهرة يطلبها إنسان بإزهاق روحه، والعيش في الجبال طريدًا ؟
- أم كانوا يُضحون دفاعًا عن الوطن، وحبًّا للرقعة الجغرافية، بل وفي سبيلها ؟ أما كان بإمكانهم أن يفرّوا مُهاجرين طلبًا للأمان في بلاد أخرى ؟ أليست أرض الله واسعة ؟.

إنَّ المجاهد أثناء الثورة – وما كان رجل دين، ولكن كان مُتديِّنا – آمن بقضاء الله وقدره. فعلم أن ما أصابه لم يكن يخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليُصيبه، وأنَّ مقادير الأمور بيد الله وحده، يصرفها كيف يشاء سبحانه... ثم آمَنَ أنَّ إرادة الله به كلها خير، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له، وإن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيرًا له[1]. وزاد إلى هذا الإيمان، إيمان آخر بأنَّ الأجل بيد الله ﴿ إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [الأعراف32]، وأنَّ مصير المجاهد في سبيله هو الجنة، فاندفع إلى ساحات الجهاد طلبًا للجنة ومُحرِّرًا للوطن. إذ كان المجاهدون – والشعب الجزائري كله – لا يُفرّقون بين الجهاد في سبيل الله والوطن، طالما أنَّ الله تعالى هو الذي أمر بالجهاد لتحرير الأوطان.

(1) انظر: محمد قطب..لا إله إلا الله. عقيدة وشريعة ومنهج حياة. دار الشروق. ط2. القاهرة 1993. ص52.

وتسابق الكل في تقديم التضحيات. لقد كان أرقى التضحية أن يقدم المجاهد روحه التي بين جنبيه، طلبًا للشهادة، وفوزا برضوان الله. والمُتأمِّل في صور التضحية لدى المجاهدين، لا يجدها تختلف عن صور الرَّعيل الأول من الصحابة في معاركهم مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – أسمع مثلا إلى الرائد بورقعة يُورد أحد مواقف التسابق إلى الشهادة:

" التفت أحد الجلادين بعد أن فرغ من مهمة تقطيع المجاهد بمنشاره إلى الأسرى الثلاثة. وقال: من منكم يريد أن يسبق الآخرين إلى الجنة... أليس في عُرفكم أنتم المجاهدين أن الذي يقتل من بينكم تكون مأواه الجنة ؟... تكلموا من يريد منكم أن يرى جثث رفاقه تتهاوى إلى الأرض قبل جثته ؟ من البطل الذي يُواجه مصيره قبل غيره ؟... رفع أحد الثلاثة رأسه عاليًا طالبًا الشهادة، قبل رفاقه المجاهدين، ثم تزاحم الثلاثة على نيل شرف الشهادة "[1]. أترى هذه النفوس الثلاثة تفعل ذلك لولا إيمانها باليوم الآخر وأنَّ مصيرها الجنة ؟ وفي أي شيء يختلف هذا الموقف عن موقف أولئك الذين أجرى الرسول – صلى الله عليه وسلم – القرعة بينهم ليختار أيُّهم يخرج طالبًا الشهادة ؟.

وخذ مثلا ثانيًا من حياة المجاهد عميروش. إذ كان مُتشوقا إلى الشهادة قبل أن يُدركها. فقد دخل على محمد صالح الصديق في تونس، وكان هذا الأخير يُريد أن يكتب كلمة عن الشهيد باجي مختار. فدارَ بينهما الحوار التالي:

- أي شيء تكتب يا شيخنا ؟
- أكتب كلمة عن الشهيد باجي مختار.
- وهل تكتب عني أيضًا كلمة عندما يُوافيك خبر استشهادي ذات يوم ؟
- بل أدعو الله أن يُطيل عمرك، وينفع شعب الجزائر ببطولاتك وعظيم تضحياتك حتى ترى ثمرة جهادك، وتقطف نتائج أتعابك.
- إذا لم يستشهد عميروش. وكثير من أمثال عميروش فكيف تنتزع الجزائر حريتها واستقلالها ؟[2].

وخذ مثلا ثالثا – والأمثلة كثيرة – من **العربي بن مهيدي** وهو يُمثل به حيًّا، وما أباح بسر، إذ كان ينتظر الشهادة والفوز بالجنة:

(1) لخضر بورقعة: شاهد على اغتيال الثورة. مرجع سابق. ص208.
(2) محمد زروال: الحياة الروحية في الثورة التحريرية. مرجع سابق. ص32.

" لقد استدعوا كافة الخبراء في العلوم النفسية، والإحباطات النفسية، لينالوا من هذه الشخصية التاريخية الثورية معلومات عن أسرارها... فلما عجزوا اقتلعوا جلدة رأسه، ثم أشعلوها حتى أبيض رأسه، ثم حملوا سفودا وأدخلوه في فمه، حتى سارت روحه إلى الرَّفيق الأعلى "[1]. فكان مثلا للرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فقضى نحبه. و **عميروش** ينتظر دوره في الشهادة. وما بدَّل الإثناء: الأحياء والأموات تبديلا. وصور التضحية لا تكاد تحصى، فمن التضحية بالنفس، إلى التضحية بالمال، وكل الممتلكات. لقد جادت النساء بكل ما يملكن من حلي – وهو أغلى شيء عندهن – وجاد الرجال بما لديهم، فقد " رَهَنَ **مصطفى بن بولعيد** قسمًا من ممتلكاته لفائدة جبهة التحرير، وفعل **ديدوش مراد** نفس الشيء بميراثه، واستطاع **الحاج بن علا** أن يجمع مبلغ 1.500.000 فرنك من منطقة الظهرة كتبرعات"[2]. وامتدَّت صور التضحية إلى كل الشعب لمساندة الثورة. لقد كانوا يتساءلون ويقولون: إذا لم يكن عندكم سلاح، فإننا على استعداد لبيع جميع أرزاقنا بشرط واحد هو ألا تقترضوا من عند الدول حتى لا تكون الجزائر مرهونة عند الاستقلال. يقول **ابن طوبال**، بل إن أدنى صور التضحية أن يتبرَّع ابن الشعب ببيته للثورة لتعقد فيها الاجتماعات. ويتزوَّد منها المجاهدون.

ويصف لنا **الحاج لخضر** مدى التفاف الشعب كله حول المجاهدين فيقول:" كنا نغشى منازلهم، نأكل ونتزوَّد، ونأخذ ما نريد، وهم عيون ساهرة علينا، يترقبون مجيئنا بكل شغف وحب، وإن تأخرنا عن المجيء أصيبوا بالحيرة والقلق والاضطراب، وهم يُقدِّمون لنا أعز ما لديهم، وكأنَّهم يطبقون قوله تعالى:﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر 09][3].

هكذا كان تعامل الشعب مع الثورة، مع أنَّه يُدرك ما يمكن أن يلاقيه لو وقعت عيون الجيش الفرنسي على ما يفعلون. ولكن كان أملهم في نصر الله كبير، وثقتهم في المجاهدين في سبيل الله والوطن مُطلقة، فما بخل بشيء، وأنَّى له أن يبخل، وهو يعلم أن ﴿ من يبخل فإنّما يبخل عن نفسه ﴾ [محمد 39] ويعلم أنَّ الجنة لا تنال إلا بالنفس والمال ﴿ إنّ الله اشترى من

(1) إصدارات الجمعية الوطنية للتاريخ والثقافة، الشهيد العربي بن مهيدي، العدد 02. ص11.
(2) محمد حربي: الثورة الجزائرية. مرجع سابق. ص69.
(3) الطاهر حليس: قبسات من ثورة نوفمبر. مرجع سابق. ص85.

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ [التوبة 112]. وليس كل من خلقي التوكل والتضحية هما فقط ما شكل الواقع الأخلاقي للمجاهدين، بل نجد:

- الإيثار: وأرقى صوره في قسمه الكسرة اليابسة بين المجاهدين،
- والشجاعة،
- والأخوة الصادقة... الخ

وكل هذه الأخلاق نتيجة عقيدة إسلامية تشبعت بها النفوس وتَرَبَّتْ عليها، وليست نتيجة ما ذهب إليه **حربي** في قاعدته القائلة:" كل مجتمع يُواجه حاضرًا صعب القراءة، مستعصي الرموز، ويشعر بالقلق إزاء المستقبل المجهول المعالم يكون الجو فيه ملائمًا للتآخي، ويفرز عقائد تساعد على التضامن بين أفراده لتحقيق الأهداف المشتركة "[1].

المبحث الخامس: البعد العقدي في بيان أول نوفمبر:

إنَّ المعطيات كلها تجعل من بيان أول نوفمبر أصدق وثيقة للتعبير عن الشعب الجزائري في انتمائه الحضاري، وفي آماله وطموحاته. إذ البيان كتب في فترة صعبة وحرجة لا تدع أي مجال لتدخل المطامع الشخصية، أو رغبات النفس الدنيوية. إذ بمجرد نشره وإعلانه ستكون التضحية بالنفس والمال والوقت والجهد... ولذلك كان الإخلاص سيمته، إخلاص للقضية الوطنية العادلة، وإخلاص في الجهاد لها. و لإن جاءت صياغته مجملة فإنَّها تعبّر –رغم ذلك– عن القواعد الكبرى أو عناصر الهوية التي يمكن أن يجتمع كل الجزائريين حولها.

لقد كان الهدف من نشر البيان هو جمع الجزائريين حول قضية واحدة، ولذلك نجد أنَّ البيان يُراعي في صوغه جملة قضايا منها:

- البيان موجّه إلى شعب اسمه الشعب الجزائري، مسلم العقيدة، عربي اللسان، يؤمن بوحدة التراب الوطني ووحدة الأمة الجزائرية.
- إنَّ العمل الذي أريد القيام به يستمد مشروعيته من هذا الشعب المتشبع بتلك المبادىء. وعليه كان لزامًا أن يُوافق العمل الإرادة الشعبية حتى تحدث الاستجابة له.

ومن هنا يظهر أنَّ الكفاح الذي بدأ في الفاتح من نوفمبر يُمثل جل الشعب الجزائري، ويُمثل في نفس الوقت الدفاع عن المبادىء المميزة له، التي أعاقها الاستعمار عن الظهور لمدة

(1) محمد حربي: الثورة الجزائرية. مرجع سابق. ص153.

طويلة. ولقد عبّر عن ذلك **مالك بن نبي** قائلا:" إنّ التناقض الانفجاري الذي أدخل الجزائر إلى حيز الأزمنة العصرية، قد بدأ تاريخه من هذا الصدام القائم بين: شعب استأنف سيره في الطريق، وإرادة أجنبية كانت تعمل على إعاقة هذا السير، باستبقائها لضباب الاستعمار والقابلية للاستعمار والمحافظة عليه. وكان هذا الصدام يقتضي أن يؤول بصورة حتمية إلى: الثورة "[1].

إنّ بيان أول نوفمبر مشروع، (إن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو... بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا). وهو مشروع إيجاد مجتمع جديد، كان في الحقيقة موجودًا، ولكنه غُيِّب بفعل الاستعمار وسياساته. هذا المجتمع الجديد يختلف جذريًّا عن المجتمع القائم آنذاك، إذ يتضادان في كل شيء: جزائري/ فرنسي، إسلامي/ مسيحي، ثقافة عربية إسلامية/ ثقافة غربية... وكان العمل المراد القيام به، يهدف إلى: الفصل بين هذه المتضادات، والدفع بالمجتمع الأصيل إلى الخروج، لا على أنقاض الدخيل، وإنّما بعد القضاء عليه. وصيغ ذلك في كلمة واحدة هي: الاستقلال. هذا الاستقلال لن يكون إلا إذا تحقق استقلال (الإنسان الجزائري) وخرج من القابلية للاستعمار. وذلك هو مشروع **ابن باديس** ومدارس حزب الشعب وهي تحضّر للثورة.

احتوى البيان جملة مبادىء إنسانية الطابع، ولكنها إسلامية الروح إذ هي نابعة من أصل المجتمع الجزائري المسلم العقيدة، وتعبّر عن روحه في أشواقها. وأهم تلك المبادىء نذكر:

5- أ/ مبدأ الوحدة:

رفع الإسلام من شأن الوحدة، واعتبرها إحدى المميزات الأساسية للأمة الإسلامية، فقال تعالى:﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون53] ودعا إليها، وحذر من الفرقة والاختلاف. فقال:﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ [آل عمران105] ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا ﴾ [آل عمران103]. وجعل أساس الوحدة بين المسلمين رباط العقيدة. فالمصالح المشتركة، والرقعة الجغرافية، والعرق قد تكون أسس للوحدة، ولكنها لن يكون لها قرار إذا كانت الشعوب مختلفة المشارب متعددة المصادر التي تستمد منها تشريعات حياتها.

---

(1) مالك بن نبي: آفاق جزائرية ترجمة الطيب الشريف. مكتبة النهضة الجزائرية. ط؟. الجزائر دون تاريخ. ص29.

وبيان أول نوفمبر يُشير إلى معنى الوحدة بين الجزائريين وفق هذا الأساس (إنّنا نعتبر الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدًا حول قضية الاستقلال والعمل). الحق أنَّ الشعب الجزائري يوم اندلاع الثورة وقبلها بقليل كان ينتظر حسم الصراعات والانقسامات التي كانت بين مختلف التيارات الحزبية ووصلت في بعض الأحيان إلى تشتيت الصف الوطني. فأنّى بأصحاب البيان ادّعاء الوحدة ؟ إنَّ الذي كان مقصودًا من وراء فقرتهم هاته أنَّ الشعب متحد حول ضرورة الاستقلال والخروج بهويته المتميزة. ومتّحد حول العمل أي الجهاد لتحقيق تلك الهوية. وانه حتى وإن كانت الوحدة غير تامة في ذلك الوقت، فإنَّ من شأن الجهاد أن يُعيد جمع شمل الجزائريين، ويسمو بهم فوق تلك الصراعات، فيكون بذلك ذروة سنام الإسلام عاملا موحدًا، ودافعًا إلى الوحدة. ولأجل هذا كان عمل القادة مركزا على هذا الأمر، إذ بعثوا إلى الأزهر الشريف يستفتون علماءه في مشروعية الجهاد[1]. وفتحوا أبواب الجهاد للجميع دون استثناء (نتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون اعتبار آخر). وتحققت الوحدة عندئذ إذ استجاب الجزائريون لنداء الثورة.

ويشهد على أنَّ معنى الوحدة كان يتعلق بمبادىء الهوية، أكثر من جانبه المادي، التغير الذي طرأ على معناه، فلئن كان يقصد به الفترة (1830-1954) كل الجزائريين مهما كان مركزهم في السلم الاجتماعي، ومهما كان موقفهم من الاستعمار الفرنسي، مُسايرًا أو مساوما أو رافضا لأية علاقة به مهما كان شكلها فإنَّه أخذ معنًا آخر، وأصبح يعني إنطلاقا من سنة 1954م "وحدة جميع الوطنيين المخلصين... وحدة الجماهير الشعبية التي ستتحقق في الكفاح ضد العدو المشترك، دون الفئات المعادية والمناهضة للجبهة "[2]. وعليه اخرج أساس (العرق) أو (مكان الميلاد) واشترط (الوطنية والإخلاص)، وهو ما يعني الصفاء العقدي والوطني، والمقاطعة التامة لكل ما هو فرنسي أو موالي له. وفي هذا ارتقاء بالوحدة من أساس العرق أو المشاركة في الرقعة الجغرافية إلى المشاركة الفكرية الثقافية. وفيه تمييز واضح بين معسكرين: جزائري وما يمثله من هوية عربية إسلامية، وفرنسي وما يمثله من ثقافة غربية مسيحية،

1) الملتقى الوطني الأول للثورة: جمعية أول نوفمبر. دار الشهاب 1992. ص78.
2) أحسن بومالي: إستراتيجية الثورة. مرجع سابق. ص47.

فيكون الإنسان الجزائري الحقيقي، ليس المقيم بها أو الحامل لجنسيتها بالميلاد، بل المؤمن بهويتها و المتمسك بثقافتها.

ثم إنَّ البيان بعد الوحدة الوطنية يُشير إلى وحدة (شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي والإسلامي)، وقبله يشير إلى وحدة المغرب العربي (أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل – يقصد مع التونسيين والمغاربة –) ووحدة منطقة (المغرب العربي) أو(شمال إفريقيا) تشير ضمنيًّا إلى الانتماء الذي يربط سكان هذه المنطقة (المغرب) بالجزء الثاني (المشرق) واللذان يمثلان جزءا الدولة الإسلامية في مرحلتها الزاهرة. وعليه، فإنَّ الوحدة في مفهوم واضعي بيان أول نوفمبر – سواء كانت الوحدة الوطنية أو وحدة الجغرافية – لتشير إلى العقيدة الإسلامية التي تشكل وحدة هذه الشعوب، انطلاقا من التاريخ الإسلامي المشترك، والمصير المشترك.

5– ب/ مبدأ: العمل يحسم الجدل

تشترك الإنسانية كلها في إدراك هذا المبدأ، ولكن الإسلام جعله أحد مميزاته الأساسية التي لا يقوم الدين إلا بها (الدين: ما وقر في القلب وصدقه العمل). ونهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن الجدال، واعتبر أنَّ هلاك الأقوام السابقة ناتج عن نسيانهم للعمل، واشتغالهم بالجدل. وحادثة عدم امتثال الصحابة لأوامر الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الحج بعد صلح الحديبية، ثم امتثالهم بعد ذلك، إذ بدأ في التنفيذ، أبلغ دليل على تطبيق هذا المبدأ .

ولقد استفاد مفجّروا الثورة من ذلك – أغلبهم درس في الكتاتيب – المبدأ. وعلموا أنَّهم لو أكملوا الخصومات والصراعات والجدال بين الأطراف المتنازعة لما استقام لهم أمر و لبقيت الجزائر فرنسية إلى الأبد. ولكنهم أدركوا أنَّ الجدل لن يفيد، والخصومات على المصالح الشخصية، وصراع الزعامات لن يغني شيئا، فأعلنوا (أننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة)، وعملوا على دفع الحركة الوطنية إلى المعركة الحقيقية الثورية، أي إلى طريق الجهاد المبارك، الذي من شأنه أن يخرج الصراع من صراع على القيم المادية الفانية (الأشخاص، المصلحة، السمعة) إلى الصراع على تكريس مبادىء الهوية الوطنية. فكان العمل الذي قاموا به، والمتمثل في إعلان اندلاع الثورة حسما لخصومات و صراعات دامت سنوات

عدة أدّت بالحركة الوطنية إلى البقاء في مؤخرة الركب و تجاوز الأحداث، و التحطم والجمود والروتين و الافتقاد إلى السند الشعبي.

5- ج/ مبدأ: التمايز (الاستقلال):

دعا الإسلام أتباعه إلى التمايز عن أصحاب الأديان الأخرى في كل شيء، ملبسا، تفكيرًا، طريقة حياة، عبادات... وهذا التمايز يمتد من الفرد المسلم وحتى الدولة المسلمة، ولكن الاستعمار الفرنسي من يوم دخوله إلى أرض الجزائر، وهو يعمل على إزالة هذا التمايز وكل المظاهر الإسلامية لتحل محلها المظاهر الأوربية. وكان اندلاع الثورة إعلانا لتأكيد هذا التمايز، والعمل على استعادته تحت اسم: الاستقلال.

والاستقلال – كما يقول بن نبي – مفهومية جد بسيطة بدأت بها الثورة. " وكان الفلاح الجزائري هو الذي أعطاها محتوى مفاهيميا. في عبارات جد بسيطة، وقد وضع فيها شعوره بالتضحية، وبالقرى (كرم الضيافة)، وشعوره بالمقدسات وهو الذي جعل منها معركة مقدسة... كان الفلاح يُناضل من أجل استقلال الجزائر وهو على وعي بأنّه شخص عربي وإنسان مسلم"[1].

والاستقلال كما يشير إلى: الخروج عن الأرض، وترك الثروات لأصحابها (الاستقلال المادي: تراب، وسائل)، يشير أيضا إلى استقلال الإنسان (حضاريا، فكريا، عقديا...) وهذا المعنى الثاني هو المحقق (للتمايز)، وهو الذي أشار إليه بيان أول نوفمبر:

(الهدف: الاستقلال: بواسطة:

1/- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادىء الإسلامية) فالدولة الجزائرية التي ستقام ضمن إطار المبادىء الإسلامية تصبح وسيلة لتحقيق الاستقلال. والجهاد أو الكفاح وسيلة لتحقيق الاستقلال بالمعنى الأول المادي. وعليه هناك مرحلتان: مرحلة الجهاد، ومرحلة بناء الدولة الجزائرية. وكلتاهما وسيلة لتحقيق الاستقلال، وإيجاد الإنسان الجزائري والدولة الجزائرية المتميزة. والدولة الجزائرية حتى تحقق الهدف يجب أن تستمد جميع مظاهر حياتها من المبادىء الإسلامية، وتصطبغ بالصبغة الإسلامية في نظام حكمها، وعلاقاتها بالدول الأخرى، وفي نظمها الاقتصادية والاجتماعية... فإذا كانت كذلك

(1) مالك بن نبي: آفاق جزائرية. مرجع سابق. ص216.

كان:

2/- (احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني)

نتيجة لازمة بالضرورة. إذ الدولة الإسلامية لا تقر التمايز على أساس العرق أو الدين، ولا يوجد فيها كبت للحريات الأساسية، بل هي الساهرة على إيجادها، ذلك أنَّ هذه الحريات تمثل مظاهر تكريم الإنسان. بل إن " من أصول عقيدة الإسلام حق الإنسان بأن يعيش عزيزا كريما لا يشعر بالعبودية إلا لله ربه، الذي خلقه فسوَّاه، والذي يملك أمره كله، فهو مملوك لربه لا لأحد من خلقه "[1].

وتأكيدًا لهذا التمايز طالب البيان من فرنسا الاعتراف به. (الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري). وهو الذي خرج الشعب الجزائري كله متغنيا به يوم الاستقلال:" يا محمد مبروك عليك، الجزائر رجعت ليك ". أي لقد حققت تمايزها، وعادت إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – تستمد منه شرعتها ومنهاجها.

5- د/ القيادة الراشدة:

بعد سنوات من تربية الشعب وتعليمه ودراسة نفسيته، وضع الإمام **عبد الحميد بن باديس** شروطا دقيقة لمن أراد أن يقود الأمة الجزائرية، فقال يصف هذا القائد:" إن الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد من أعز الصفات وأندرها، تتطلب منه فقهًا لنفسية الأمة، ودرسًا عميقا لجميع أحوالها، وإخلاصًا لها يزاحم إخلاصه لنفسه ولأهله وأقربائه... ولقد حدثنا التاريخ أنَّ الأمم تأبى أن تسلم قيادتها لمن لا يحافظ على دينها ولغتها."[2]

ولقد فقه مفجروا الثورة ذلك، فأوردوا في البيان كل ما وصى به **ابن باديس** من صفات وعاهدوا الأمة الجزائرية على أن يلتزموا بها إلى أن يتحقق الاستقلال، أو يلقوا الله شهداء وهم على عهدهم. وإذا علمنا أن معظم أولئك القادة ما تلقوا دراسات في جامعات أو معاهد عليا، وأن أكثرهم تخرج من الكتاتيب أين كان يحفظ القرآن، والبعض منهم يحمل شهادة الابتدائية.[3]

(1) وهبة الزحيلي: حق الحرية في الإسلام. دار الفكر. ط1. دمشق 2000. ص95.
(2) جريدة الشهاب: ج 9 / مجلد 13. نوفمبر 1937.
(3) M. harbi. Le F.L.N. mirage et réalité. p 116.

علمنا يقينا أنّ استمدادهم لتلك الصفات، ومعرفتهم بها كان نتاج بيئتهم التي نشأوا فيها، أي البيئة الجزائرية المحافظة.

بعد أن وجهوا نداءهم إلى الشعب الجزائري كله (أيها الشعب الجزائري). طلبوا منه أن يحكم على العمل الذي سيقومون به (تفجير الثورة). أو يحكم على (شخصياتهم) " أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا ". وفي هذا إشراك للشعب كله في القضية، والأخذ برأيه. ويكون ذلك من خلال استجابته أو رفضه. وهذا المعنى فيه إحياء (لمبدأ الشورى) الذي غُيِّبَ لفترة طويلة جدًّا. إذ لم يكن للشعب رأي منذ بدأت الصراعات بين الأحزاب قبل الثورة. وكثيرًا ما كانت شخصية (الرئيس / الزعيم) هي التي تفصل في القرارات، وفي كيفيات التعامل مع السياسات الفرنسية. وزادوا هذا المبدأ تأكيدًا عندما جعلوا قيادة ثورية (جماعية). ففي هذا إحياء (لنظام الجماعة) الذي كان سمة المجتمع الجزائري، وإلغاء لنظام الزعامة الفردية.

وطلب (الحكم) من الشعب دلالة على قابلية هؤلاء القادة (للنصح والإرشاد)، وذلك لتدارك الأخطاء التي يمكن الوقوع فيها، خصوصًا وأنّ الثورة في تخطيطها كانت عملا فئويا سرّعتها الأحداث، ودفعته إلى الواجهة. فكان إذن لسان حالهم ينطق بما قاله الخليفة الأول **أبو بكر الصديق**:" إن أحسنت فأعينوني، وإن أخطأت فقوّموني".

ومن فقههم لنفسية الأمة الجزائرية، أدركوا أنّها أمة تعشق الحرية، وتكره الإذلال بمختلف أنواعه، ومن أي طرف كان (الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين).

وأنّها أمة واحدة، ليس بين أبنائها عداوة حقيقية، بل عدوّها واحد هو (الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى). فهو عدوّها الذي استلب أرضها وثقافتها، ولذلك يجب أن تجتمع كل الطاقات السليمة للقضاء على هذا العدو (تجميع وتنظيم جميع الطاقات لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري).

ولقد أنذروا الاستعمار – حفاظا على الأرواح البشرية، وتلك أحد مقاصد الشريعة الإسلامية – ولكنه تمادى في غيّه، وتهميشه للشعب واحتقاره له، ولكل مقوّماته، حتى كان إعلان الجهاد ضده ليرتدع، ويفيق من غفلته، ويُدرك أنّ هناك مجتمع جديد يُريد أن يحيا على طريقته، بعد أن حُرم لسنوات طوال من التعبير عن نفسه وهويته (للتدليل على رغبتنا في السلم، وتحديدًا للخسائر البشرية، وإراقة الدماء فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشروعة

للمناقشة إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها).

ثم أعلنوا براءتهم من كل مطمح شخصي، أو مصلحة دنيوية، ووضعوا (المصلحة العامة) أو (المصلحة الوطنية) فوق كل المصالح والاعتبارات (إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار). إذ علموا أنَّ الأمة الجزائرية تكمن مصلحتها العامة في استعادة استقلالها وهويتها، وليس همّها أن يعتلي شخص جزائري – مهما كان – منصبًا لدى سلطات استعمارية غريبة عنها. إنَّها تريد الذي يمثلها ويعيش آلامها وآمالها. وفي وطن مستقل يعبّر عنها وعن هويتها، ولذلك انسحب الشعب كله يوم كان الصراع محتدمًا بين الأحزاب قبل الثورة على الزعامة والمصالح والسمعة، وساند الثورة بكل ما يملك يوم علم صفاء أبنائها (إننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة). وأكدوا صفاءهم عندما اشترطوا – لمن يريد مشاركتهم في عملهم ضد الاستعمار – أن يكون متحليا بهذا الصفاء، فوصفوا أنفسهم قائلين (مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصمّمة). ووصفوا المشاركين معهم (بالطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية الاستعمار).

ولكن الصفاء الأخلاقي لم يكن لوحده كافيا، ليقنع الشعب بالالتحاق بصفوفهم، وإنَّما يجب أن يُضاف خلق التضحية إليه. تضحية بكل ما يملكون، ومن أجل شيء واحد: نيل أحد الحسنين الشهادة أو النصر. فلا مغنم ثم (نقدم للوطن أنفس ما نملك). ويُدركون أنَّ (المهمة شاقة وثقيلة)، ولكنهم (عازمون على مواصلة الكفاح) طالما أنَّ الحق هو المنتصر على الظلم دائمًا. فلما توفرت كل هذه المعطيات واطمأنَّ الشعب، وأدرك أنَّ العمل في سبيل الله لتحرير الوطن، كانت الاستجابة منقطعة النظير، إذ التحق الكل بالثورة فكان منهم المجاهد والمُسبّل والفدائي.

الخاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة ونتائج:

كانت العقيدة الإسلامية ثورة على الوضع الجاهلي العالمي في القرون الأولى للإسلام، إذ استبدلت وضعا قائمًا – في جانبه العقدي – على عبادة الأوثان في شبه الجزيرة العربية. وعبادة قوى الطبيعة (النار) عند الفرس. وعبادة الأبطال والأجساد عند الروم. بوضع آخر يختلف عنه تماما، قام أساسا على عبادة إله واحد. وكان هذا التوحيد شرارة انطلاق لتحرير البشرية كلها من عبوديتها لنفسها أو عبوديتها للمتسلطين عليها ظلما وعدوانا. وكانت هذه العقيدة – هي نفسها – ثورة جديدة على وضع استعماري أودى بالإنسان الجزائري المسلم؛ إذ نقله من سيد للبحر المتوسط يقود حركة الجهاد دفاعا عن العالم الإسلامي، إلى قنّ في زاوية يعتقد أن قبول الذلّ والعبودية قضاء وقدر. ومن مُصدِّر للقمح لأوربا لتسدّ جوعتها، إلى جائع تفتك به الفاقة والمجاعة. وأخيرًا من صانع للحضارة العالمية إلى مُلمِّع لأحذية السادة المعمرين.

بدأ هذه الثورة العقدية سكان العاصمة يوم نزل الجيش الفرنسي في شاطيء (سيدي فرج)، وأكملها الشعب الجزائري كله إلى غاية تحقيق الاستقلال. وكانت ثورة الفاتح من نوفمبر تتويجا لحركة الجهاد بالسيف والقلم، وإرهاصًا لمشروع دولة جزائرية إسلامية الروح عربية اللسان، ونقطة تحوّل حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث.

وإجمالا يمكن الحديث عن **البعد العقدي في الثورة الجزائرية** في النقاط التالية:

1/- إنّ العقيدة الإسلامية – في أسمى أهدافها – هي حركة تحرير للإنسان، وبالتالي هي ثورة على كل ما يعيق الإنسان في سعيه لبلوغ مكانته في سلم الخلق. فقد خلق ليكون سيِّدًا في الأرض، وسيادته مستمدة من كونه عبدًا لله وحده. يأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه. وهذا ما يضمن له التحرر من ذاته ومن الآخرين. فالتحرر من الذات (النفس، الهوى، الشهوة) يعني: الخروج من عبودية الإنسان لنفسه. والتحرر من الآخرين (رجال دين، ملوك، متسلطين، استدمار، أوثان...) يعني: الخروج من عبودية الإنسان لمن هو مثله من الناس أو لمن هو دونه من المخلوقات. والتحرر من كليهما يعني إفراد الله تعالى بالعبودية وهو التوحيد.

2/- إن أي حركة تغير تسعى لتحرير الإنسان من ذاته ومن الآخرين، لابد أن يكون منطلقها غرس العقيدة الإسلامية المحررة في نفوس أفرادها. وإن نظرة في برامج وأعمال الأحزاب والجمعيات الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية ترينا أنّ الذي وضع هذا المنطلق

نصب عينيه، واعتبره أولى الأولويات، واستفرغ فيه الجهد والمال والوقت هو: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فمشروعها كله قائم على إصلاح الجانب العقدي عند الجزائريين. لذلك عملت على نقل المسلم الجزائري من مرحلة (العقيدة المخدّرة) في الزوايا البدعية والخرافية، ومرحلة (العقيدة المقلدة) عند معظم الجزائريين إلى مرحلة (العقيدة المحررة) بواسطة التربية والتكوين داخل مدارسها ومساجدها ونواديها. فكان لهذه النقلة ثمرتها الطبيعية: الثورة على الاستدمار.

3/- إنّ الشعب الجزائري كله مسلم في عقيدته. ومنه انبثق قادة الثورة، ومفجرّوها الأوائل، ولم يعرف عن أحدهم أنّه عرف واعتقد فكرًا آخر غير الإسلام. وعليه فإنّ اديولوجية الثورة الجزائرية لا يمكن أن تخرج عن الإسلام المشكّل لفكر القادة والشعب. وإذا كان الإسلام ليس اديولوجية – نظرًا للمفهوم الذي عادة ما يأخذه مفهوم الإديولوجية – فإنّ الثورة حقا خالية من الاديولوجية، إذ أغناها الإسلام عنها، فهو لوحده استطاع أن يُفجّر الثورة، ويكون الفكرة التي جمعت الجزائريين كلهم وحرّكتهم ضد الاستعمار. وبالتالي فالثورة الجزائرية إسلامية الروح في منطلقها. وهذا بالضرورة يعني أنّ كل تفسير للثورة الجزائرية يهمل هذه الحقائق هو تفسير مردود. وأول تلك التفاسير المردودة التفسير القائل بأنّها – الثورة الجزائرية – نتيجة صراع الطبقات، وثورة البروليتاريا الجزائرية على الأرستقراطية الفرنسية من أجل اقتسام الإمكانيات المادية وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية. فهذا التفسير يلوي أعناق الحقائق والأحداث التاريخية، ويتجاوز الواقع الجزائري آنذاك، ثم يصبّه في قالب من (الفكر الماركسي) السابق لتستقيم له الرؤية حسب ما يرغب.

4/- يتجلّى البعد العقدي في الثورة الجزائرية في ممارسة ميدانية معبّرة عنه، وليس في تنظيم قضايا العقيدة الإسلامية ومناقشتها. إذ الممارسة التطبيقية هي أصدق تعبير عن صدق الاعتقاد ورغبة التمسك به. وربما يرجع غياب أو قلة التنظير إلى كون كل الجزائريين أثناء الثورة كانوا رجال ميدان يحكمهم قانون التفاعل مع الموقف الآني. وما وجد من مواثيق قليلة هي في أغلبها طرح لقضايا مجملة كبرى معبّرة عن عناصر الهوية المتّفق عليها من مثل: الدين الإسلامي واللغة العربية ووحدة الوطن وخيار الثورة... ومع ذلك يمكن قراءة بعض الأبعاد العقدية في ثناياها. وعليه فإنّ البعد العقدي يستشفّ – في أغلبه – من أحداث الثورة الجزائرية، وتفاعلات الساحة الجهادية فيها. إذ يمكن ملاحظته فيما يلي:

أولا: الدافع الذي حرّك الجزائريين للقيام بالثورة هو: الرغبة في الشهادة والفوز بالجنة، وأداء الواجب الشرعي والوطني الذي يفرض على الكل الدفاع عن الوطن (أرض الإسلام) لافتكاكها من أعداء العقيدة. الذين رسّخوا في الضمير الجمعي الجزائري بكونهم يمثلون: النصارى.

ثانيا: الهدف من قيام الثورة هو: إقامة دولة جزائرية ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة ضمن إطار المبادىء الإسلامية. أي إقامة دولة جزائرية عقيدتها: الإسلام.

ثالثا: الوسيلة: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة 194]، فما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، والحرية تؤخذ ولا تعطى.

رابعًا: شعار الثورة: الله أكبر، النصر أو الشهادة. وهذا يعني أنَّ كل شيء موكول إلى الله تعالى، فهو الذي يمنح النصر، وهو الذي يمنح الشهادة. وما عليك إلا استصغار كل شيء دونه، ثم التوكل المطلق عليه. فلا مجال هنا للمقارنة بين الإمكانيات المادية بين الجزائريين والعدو، و إلا فلن تقوم الثورة أبدًا مهما طال الزمن. ومنه فالثورة كلها حرّكتها عقيدة إسلامية مفادها: توكل على الله ينصرك.

خامسًا: مضمون الثورة هو: الجهاد بنوعيه:

أ- جهاد العدو بالسلاح، أو ما يسمى بالقتال، وهو عمل متقطع تفرضه المواقف التي يكون عليها المجاهدون أو الأعداء.

ب- جهاد النفس، وهو الجهاد المتواصل والدائم الذي يعيشه كل مجاهد، ويلاحظ فيه ما يلي:

* **العبادات:**

- التزام الأغلب بأداء الفرائض (صلاة، صيام) على وقتها مهما كانت الظروف.
- الالتزام بإحياء المناسبات الدينية، والأيام الخالدة في الإسلام بتكثيف العمليات القتالية.

* **المعاملات:**

- استعمال مصطلحات إسلامية للتعبير عن أحداث أو أشخاص أو مواقف تتعلق بالثورة. من مثل: كلمات السر (خالد – عقبة – محمد...)، المجاهد، الشهيد السرية، المسبّل، الفدائي.

- الالتزام الصارم بأخلاقيات الإسلام مع الذات من مثل: التوكل، التضحية، الطاعة في المعروف، التسابق إلى الجهاد، الاكتفاء بالضروريات في الملبس والمأكل، اجتناب كل الكبائر والصغائر وحتى المكروهات (التدخين)...
- الالتزام بأخلاق الإسلام في التعامل مع الآخرين:
  - مع إخوانه المجاهدين: التواضع، الإيثار، الأخوة، التكافل...
  - مع أعدائه: تطبيق أحكام الشرع أثناء القتال: لا يقتل صبيا أو امرأة أو شيخا كبيرًا، لا يمثل بالقتلى، يتعامل مع الأسرى حسب مقتضيات الشرع قتلا أو فدية أو تسريحًا.. لا يحرق أو يدنس معابد اليهود، ولا كنائس النصارى. رغم مشاركة بعضهم في القمع.
- الالتزام بأحكام الإسلام في القضاء والإرث والزواج والطلاق، وكل الأحوال الشخصية.

بعد كل ما سبق: ترى هل استوفينا حق البعد العقدي في الثورة الجزائرية ؟ كلا، بل هي محاولة تنتظر محاولات أخرى، لها مساندة، تعطي للعقيدة الإسلامية دورها الحقيقي في الثورة التحريرية، وتبرز مدى الوفاء لهذه العقيدة التي صحبت الشعب الجزائري من يوم إسلامه إلى يوم استقلاله، ثم في مسيرة التشييد الحضاري محمّلة إياه مسؤولية عظيمة تركها الشهداء وكل الذين قدموا في سبيل نصرتها كل ما يملكون، عسى أن نملك ما هم لنا تاركون. ونثور على ما كانوا عليه ثائرون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1/ بالعربية:

1- القرآن الكريم

2- أبو القاسم سعد الله: - الحركة الوطنية الجزائرية.ج1،2 المؤسسة و.ن.ت. ط3.الجزائر92
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.دار الغرب الاسلامي ط2بيروت90

3- أبو بكر جابر الجزائري: عقيدة المؤمن.مكتبة الجديد. ط؟.تونس85.

4- أحسن بومالي: استراتيجية الثورة الجزائرية.منشورات م.و للمجاهد.ط؟.الجزائر دون تاريخ

5- أحمد بن نعمان: الجهاد وثورة الاستقلال.دار البعث.ط1.قسنطينة 82.

6- احمد طالب الابراهيمي: آثار الامام البشير الابراهيمي.دار الغرب الاسلامي.ط1.بيروت97

7- طاهر حليس:قبسات من ثورة نوفمبر.دار الشهاب.ط؟.الجزائر دون تاريخ.

8- اليكسي جو رافسكي:الاسلام والمسيحية.ت:خلف محمد الجراد.عالم المعرفة.الكويت96.

9- بسام العسلي: الامير خالد الهاشمي الجزائري.دار النفائس.ط2.بيروت84.

10- بسام العسلي ومحمد طلاس:الثورة الجزائرية.دار الشورى.ط1.بيروت86.

11- زكرياء ابراهيم: مشكلة الحرية.مكتبة مصر.ط3.القاهرة دون تاريخ.

12- سعيد حوى:المستخلص في تزكية الانفس.دار الفكر.ط؟.الجزائر92.

13- سيد قطب: في ظلال القرآن.ج4.دار الشروق.ط11.القاهرة دون تاريخ.

14- شاوش حباسي:من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر.دار هومة. ط؟. الجزائر 98.

15- صالح عوض: معركة الاسلام والصليبية في الجزائر.الزيتونة ن.ت.ط؟ الجزائر98.

16- طه عبد الرحمان: العمل الديني وتجديد العقل.المركز الثقافي العربي.ط2.الدار البيضاء97

17- ظافر القاسمي:الجهاد والحقوق الدولية العامة في الاسلام.دار العلم.ط1.بيروت82.

18- عباس محمود العقاد:التفكير فريضة اسلامية دار رحاب .ط؟.الجزائر دون تاريخ.

19- عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية.دار البعث.ط1.قسنطينة81.

20- عبد الكريم زيدان:اصول الدعوة.قصر الكتاب.ط؟ الجزائر90.

21- عبد الله عزام:العقيدة واثرها في بناء الجيل.مكتبة الاقصى.ط3.عمان80.

22- عبد الله حمادي: الحركة الطلابية الجزائرية.م.و للمجاهد.ط2.الجزائر85

23- عبد المجيد النجار:- مباحث في منهجية الفكر الاسلامي.دار غ الاسلامي.ط1. بيروت92
- دور حرية الراي في الوحدة الفكرية بين المسلمين.المعهد العالمي للفكر الاسلامي.ط1 . 1992

24- عبد المجيد شرنوبي:شرح الحكم العطائية.دار الهدى.ط1.الجزائر 91.

25- عبد الرحمان الكواكبي:طبائع الاستبداد.دار الانيس.ط؟. الجزائر88.

26- عبد العزيز الحبابي: الشخصانية الاسلامية.دار المعارف.ط؟.القاهرة69.

27- عمار بوحوش:تاريخ الجزائر السياسي.دار الغرب الاسلامي.ط1.بيروت97

28- عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة.ج3.دار البعث.ط؟.قسنطينة91

29- عمار طالبي:ابن باديس حياته واثاره.دار اليقظة العربية.ط19.بيروت79

30- عمر سليمان الاشقر:العقيدة في الله.قصر الكتاب.ط؟.الجزائر89

31- فهمي جدعان:اسس التقدم عند مفكري الاسلام.المؤسسة العربية د.ن.ت.ط2.بيروت81
32- لخضر بورقعة:شاهد على اغتيال الثورة.دار الحكمة.ط1.الجزائر90
33- مالك بن نبي: - شروط النهضة.ت:ع الصبور شاهين.مكتبة دار العروبة.ط2. القاهرة61
- آفاق جزائرية.ت:الطيب الشريف.مكتبة النهضة الجزائرية.ط؟.الجزائرت؟
34- محمد زروال:الحياة الروحية في الثورة التحريرية.م.و.للمجاهد.ط؟.الجزائر94.
35- محمد البهي:الدين والحضارة الانسانية.دار الفكر.ط2.بيروت74.
36- محمد العربي الزبيري:- الثورة الجزائرية في عامها الاول.م.و.للكتاب.ط؟.الجزائر84.
- الكفاح المسلح في عهد الامير ع القادر.ش.و.ن.والتوزيع.ط2.
الجزائر دون تاريخ.
- المثقفون الجزائريون والثورة.م.وللمجاهد.ط؟.الجزائر95.
37- محمد العربي ولد خليفة:الثورة الجزائرية معطيات وتحديات.م.وللكتاب.ط1.الجزائر91.
38- محمد حربي:الثورة الجزائرية.ت:نجيب عياد.سلسلة صاد.ط؟.الجزائر94.
39- محمد عبده:- الاسلام والنصرانية.سلسلة الانيس.ط؟.الجزائر90.
- رسالة التوحيد. سلسلة الانيس.ط؟.الجزائر90.
40- محمد عمارة:مسلمون ثوار.دار الشروق.ط3.بيروت88.
41- محمد قطب:لا اله الا الله عقيدة وشريعة.دار الشروق.ط2.القاهرة93.
42- محمود الخالدي:العقيدة وعلم الكلام.دار الشهاب.ط؟.الجزائر دون تاريخ.
43- محمود شلتوت:الاسلام عقيدة وشريعة.دار الشروق.ط13.بيروت85.
44- محمود هشام سلطان:العقيدة والفكر الاسلامي.مكتبة رحاب.ط2.الجزائر82.
45- مصطفى الاشرف:الجزائر الامة والمجتمع.ت:حنفي بن عيسى.م.وللكتاب.ط؟.الجزائر83.
46- نبيل احمد بلاسي:الاتجاه العربي والاسلامي ودوره في تحرير الجزائر.الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط؟. القاهرة90.
47- نصر الدين اسعيدوني:الجزائر منطلقات وأفاق.دار الغرب الاسلامي.ط1.بيروت2000.
48- وهبة الزحيلي:- حق الحرية في الاسلام.دار الفكر.ط1.دمشق2000.
- اصول الفقه الاسلامي.ج2.دار الفكر.ط؟.الجزائر92.
49- يحي بوعزيز:الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية.د.م الجامعية.ط؟.الجزائر91.
50- يوسف القرضاوي:العبادة في الاسلام.دار الشهاب.ط؟.الجزائر دون تاريخ.

2/ بالفرنسية

1- Mohamed Harbi : le FLN mérage et réalité. Les éditions J.A .85.
2- Radouane Ained Tabet : le 08 mai en Algerie. Office des publications universitaire .Alger 85.

3/ المعاجم والقواميس:

1-المعجم العربي الاساسي: جماعة من كبار اللغويين العرب.المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.1989.
2- عبد المالك مرتاض:المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية.د م.ج.ط؟.الجزائر83
3- معجم المصطلحات القانونية.ت:منصور القاضي.م.ج.د.ن.ت.ط؟. بيروت98.
4- جبران مسعود:المعجم اللغوي الرائد.دار العلم للملايين.ط6.بيروت90.
5- قاموس الموسوعة: لاروس 98.

4/ المجلات والجرائد:

1- مجلة اول نوفمبر:الاعداد 61، 142، 143، 144، 147.
2- مجلة الاصالة: عدد 22.
3- مجلة الثقافة: الاعداد 83، 104.
4- مجلة البصائر الجديدة: العدد الاول.
5- مجلة العلوم الانسانية: جامعة قسنطينة.جوان90.
6- مجلة العربي بن مهيدي: العدد 2.
7- جريدة الشهاب: الجزء الثاني،الجزء السابع والجزء التاسع.
8- جريدة السنة بتاريخ 1933/04/24.

5/ الملتقيات:

1- الملتقى الوطني الاول للثورة 1989: معالم بارزة في ثورة نوفمبر.دار الشهاب92.
2- الملتقى الوطني الثاني للثورة 1990: الثورة الجزائرية أحداث وتأملات.دار الشهاب94.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

1/- فهرس الأعلام.

2/- فهرس الأماكن و البلدان.

3/- فهرس المواد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1/ فهرس الاعلام:

(أ)

أبو القاسم سعد الله 45 ، 50
أبو بكر الصديق 85
أبو بكر جابر الجزائري 36
أحسن بومالي 19
أحمد بن نعمان 20 ، 63 ، 72
اقبال 31
الامير عبد القادر 43 ، 44 ، 45
الامير خالد 45 ، 46
البشير الابراهيمي 16 ، 54 ، 59
الحاج بن علا 78
الحاج لخضر 58، 73 ، 78
الحداد 44
الخدير 59
السكندري 34
الصادق دندان 49
العربي بن مهيدي 61، 77
العز بن عبد السلام 28
الفضيل الورتلاني 54
الكاهنة 40
المقراني 44
اندري بوفر 21

(ب،ج،د،ر،ز،س،ش،ط)

باجي مختار 77
بوعمامة 44
بيجو 44
جان سارفبيه 17
ديدوش مراد 78
ديغول 63
رابح بيطاط 52
زيغود يوسف 62
سويداني بوجمعة 74
شكيب ارسلان 48
طارق بن زياد 40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ع)

عباس محمود العقاد 28
عبد المالك مرتاض 15
عبد الله ركيبي 19
عبد الحميد بن باديس 40 ، 46 ، 49 ، 50 ،51 ،52 ،59 ، 61 ،62 ،80 ،84 .
عبد المجيد النجار 14
عبد الكريم بوصفصاف 19
عمار بوحوش 72
عمار قليل 70 ،71
عمر بن عبد العزيز 70 ،71
عمر دردور 59
عميروش 62 ،77 ،78

(غ،ف،ل)

غي موليبيه 20 ،62
فرحاتن عباس 21 ،49
لالا فاطمة نسومر 44
لاكوست 17
لخضر بن طوبال 52 ،74
لخضر بورقعة 77

(م)

مالك بن نبي 80، 83
ماسينيون 23
مبارك الميلي 61
محمد العربي الزبيري 19 ،21
محمد حربي 48
محمد بن عبد الرحمان 44
محمد بن عيسى 44
محمد عمارة 17
محمد الغزالي 54
محمد بوضياف 59
مصالي الحاج 47 ،48 ،49
مصطفى بن بولعيد 52 ،59 ، 71 ،74 ،78
مصطفى الاشرف 18 ،48

(و،ي)

يحي بوعزيز 44
يوسف يعلاوي 67

2/ فهرس الأماكن والبلدان

أريس 59
الشمرة 52
الجزائر 5 ،8 ،18، 40، 41، 42، 43، 50، 58، 60، 68، 71، 74، 84.
الجنوب الجزائري 40
الصين 21
الطاسيلي 40
الظهرة 78
العاصمة 42، 43، 88
القاهرة 44
المغرب 40، 82
المغرب الاوسط 40، 41
المغرب العربي 40
اليمن 54
بسكرة 61
تلمسان 41، 48
تمنراست 61
تونس 59
تيهرت 41
دانكارك 61
روما 43
سويسرا 48
سيدي فرج 42، 88
طرابلس 44
فرنسا 47، 49
فزان 44
مارسيليا 43
موريطانيا 44
يوغسلافيا 21 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3/ فهرس الموضوعات:

- المقدمة: 05

الفصل التمهيدي

ضبط مصطلحات البحث

- تمهيد: 11

المبحث الأول: ضبط مفهوم البعد 12

المبحث الثاني: ضبط مفهوم العقيدة الإسلامية..... 13

المبحث الثالث: ضبط مفهوم الثورة الجزائرية 15

المطلب الأول: مفهوم الثورة 15

المطلب الثاني: شبهات حول الثورة الجزائرية 18

الفصل الأول

البعد التحرري في العقيدة الإسلامية

- تمهيد: 23

المبحث الأول: التوحيد والتحرر 24

المطلب الأول: تحرير العقل 25

المطلب الثاني: تحرير النفس من الشهوات والأهواء 29

المطلب الثالث: تحرير علاقة الإنسان بخالقه من الوسائط 32

المبحث الثاني: أثر الإيمان باليوم الآخر 36

المبحث الثالث: أثر الإيمان بالقضاء والقدر 37

الفصل الثاني

مكانة العقيدة الإسلامية لدى الشعب الجزائري

- تمهيد: 39

المبحث الأول: إسلامية الشعب الجزائري 40

المبحث الثاني: مقاومات جهادية مسلحة 42

المطلب الأول: الأمير عبد القادر: الجهاد ضد الكفار..... 43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: مقاومات على درب الأمير 44
المطلب الثالث: الوجه الإسلامي للمقاومة السياسية 45
أولا: الأمير خالد: المسلم المحافظ 45
ثانيا: حزب الشعب: التمايز الحضاري 46
ثالثا: دعاة المساواة بين الانبهار بفرنسا وجواذب النشأة الاسلامية.....48
رابعا: جمعية العلماء: الاصلاح العقدي.....49

الفصل الثالث

- تمهيد 56
المبحث الاول: البعد العقدي في سير المجاهدين والقادة.....57
المبحث الثاني: الدافع العقدي في اندلاع الثورة.....62
المبحث الثالث: البعد العقدي في لغة المجاهدين.....64
المبحث الرابع: البعد العقدي في اخلاق المجاهدين.....69
المطلب الأول: التوكل 72
المطلب الثاني: التضحية 76
المبحث الخامس: البعد العقدي في بيان اول نوفمبر.....79
المطلب الأول: مبدأ الوحدة 80
المطلب الثاني: مبدا العمل يحسم الجدل 82
المطلب الثالث: مبدأ التمايز 83
المطلب الرابع: مبدا القيادة الرشيدة.....84
الخاتمة.....88
المصادر والمراجع.....92
الفهارس.....96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية